جامعة الأزهر
حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالشرقية

التشيُّع في شعر مهيار
(دراسةموضوعيَّة وفنيَّة)

إعـــداد

الدكتــور/ هشام عبدالسلام على جاد

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

العدد الرابع

للعام ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

مـقـدمـــة

الحمد للَّه ؛ الَّذِي اصطفَى من الملائكة رسلا ومن النَّاس إنَّ اللَّه قويٌّ عزيز ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خير الرُّسلِ والأنبياءِ سيِّدنا محمَّدٍ ؛ الَّذِي بعثَهُ اللَّهُ على فترةٍ من الرُّسلِ فكانَ للعالمين بشيراً ونذيراً ، وأتَمَّ بهِ الدِّينَ وهدَى بهِ إلى اليقينِ ، والصّلاةُ والسَّلامُ على آلهِ الأطهار وشِيعتِهِ الأخيار وأصحابهِ الأبرارِ الَّذِين رَضِي اللَّهُ عنهُم ورضُوا عنهُ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على كلِّ من سارَ على هَدى النَّبيِّ ـ ﷺ ـ من أبناء هذه الأُمَّةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إلى أنْ يرثَ اللَّهُ الأرضَ ومن عليها ...

وبعد ...

فقد كانَ عصرُ العبَّاسيِّينَ ثورةً في العلمِ والفكرِ والأدبِ ، وقد تركَ العبَّاسيُّونَ تُراثاً خالداً في كلِّ المجالاتِ ، كانَ هذا التُّراثُ شاهداً على عظمةِ العبَّاسيِّينَ ، وكانَ يُمكنُ لهذه الحضارةِ أنْ تكونَ أكثرَ قوَّةً وبقاءً وازدهاراً ، لو تمسَّكَ العبَّاسيُّونَ برابطِ الأُخوَّةِ الإيمانيَّةِ الَّذِي يشدُّ أبناءَ الأُمَّةِ جميعاً إلى التَّعاطفِ والتَّوادِّ والتَّراحُمِ ..لكن رأينا الأُمَّةَ في عصرِ العبَّاسيِّينَ وبخاصَّةٍ في العصرِ العبَّاسيِّ الثَّاني (٣٣٤هـ ـ ٦٥٦ هـ) تتنازعُ من أجلِ لُعاعةٍ [١] من الدُّنيا ، ومن هُنا انقسمَتْ الحضارةُ العظيمةُ إلى حضاراتٍ ، والأُمَّةُ الموحدة إلى أُممٍ . كنَّا نتمنَّى ألَّا يكونَ هناكَ انقسامٌ أو صراعٌ ، كنَّا نتمنَّى أن يكونَ هناكَ من ينظرُ إلى هذه الأُمَّةِ في كلِّ حركاتِه وسكناتهِ ، كنَّا نتمنَّى أن يكونَ هُناكَ حسنٌ جديدٌ ؛ ليعيدَ إلى الأُمَّةِ وحدتها وقوَّتَها ولو إلى حين.....

---

(١) النَّبات الصَّغير...

لكن ليس كلُّ ما يتمنَّاهُ المرءُ يدركهُ ، كانَ هناكَ صراعٌ من أجلِ الخلافةِ ، وهذا الصِّراعُ كانَتْ لهُ جذورهُ التَّاريخيَّةُ ، رأيناهُ في عصرِ الخلفاءِ الراشدين بعد مقتل عثمان (ت:٣٥ هـ) ، ورأيناهُ يزدادُ اشتعالاً بعد مقتلِ الإمامِ عليٍّ (ت:٤٠ هـ) ، وقد أدَّى مقتل الإمامِ علي إلى تصدُّعٍ كبيرٍ في صفوفِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ ، ليس فقط في العصر الَّذِي قُتِلَ فيهِ الإمامُ علي ، ولكن رأينا هذا التَّصدُّعَ في كلِّ العصورِ بعد ذلكَ ، وقد أدَّى هذا التَّصدُّعُ إلى صراعٍ سياسيٍّ ومذهبيٍّ ، وأصبَحَتْ الأُمَّةُ أحزاباً وشيعاً ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون ...

كانَ مهيار (ت : ٤٢٨ هـ) من شعراءِ العصر العباسيِّ الَّذِينَ كانُوا يؤمنونَ بحقِّ آل البيتِ أو الشِّيعةِ في الخلافةِ أو الإمامةِ ، وقد رأينا مهيار في شعرهِ يتحدَّثُ عن هذا الحقِّ الشِّيعيِّ ، ولم يكن حديثُ مهيار عن هذا الحقِّ من أجلِ غرضٍ أو هدفٍ ماديٍّ ، بل كانَ ذلِكَ عن قناعةٍ فكريَّةٍ وإيمانيَّةٍ ، وهو يذكِّرُنا في هذا التَّجرُّدِ بكثيرٍ من شعراءِ آل البيتِ في كلِّ وقتٍ ، يذكِّرُنا بالشَّاعرِ الكُمَيت (ت : ١٢٦ هـ) الَّذِي أبى أن يأْخُذَ شيئاً من آل البيت بعد أنْ قالَ فيهم الهاشمياتِ وهي أجملُ ما قيل فيهم من شعرٍ ...

وفي هذا البحثِ سيكونُ الحديثُ عن التشيُّع في شعر مهيار ، فقد كانَ التشيُّعُ من الموضوعاتِ الَّتِي تحدَّثَ عنها مهيار في شعرهِ ، وقد جاءَ هذا الحديثُ في شعرهِ الَّذِي مدحَ بهَ آلَ البيتِ وبخاصَّةٍ الإمامُ علي والحسين، وكذلك في شعرِهِ الَّذِي رثاهُم به ، كما وجدنا ظلالَ التشيُّع في شعرهِ المدحيِّ الَّذِي مدحَ بهِ المتشيِّعين لآل البيتِ من وزراءِ البُويهيِّين، وبعضِ أمراءِ البُويهيِّين كجلالِ الدَّولة البُويهيِّ (ت : ٤٥٣ هـ) ، ووجدناهُ

كذلكَ في شعر مهيار الَّذِي نعَى فيه الشَّريفَ الرَّضِيَّ (ت: ٤٠٦ هـ) وكثيراً من آل البيتِ في عصرهِ ...

ومن هنا كانَ التشيُّع من الظَّواهرِ الَّتِي تستحقُّ الدِّراسةَ كما درستْ ظواهرُ أخرَى في شعرهِ ، فهناك من قام بدراسة " الاتجاه الوجدانيّ في شعر مهيار دراسة في الرؤية والأسلوب " وقد قامَ بهذه الدِّراسةِ الدُّكتور جمال عليّ زكي بسيوني ، وهي دراسةٌ تقدَّمَ بها للحصولِ على درجةِ الدكتوراه من جامعة الزَّقازيق ، وهناك أيضاً من قام بدراسة "الحس الوجدانيّ وبواعثه في شعر مهيار" وقد قام بهذه الدِّراسة دكتور ياسر عليّ عبد ، وهي عبارةٌ عن مقالٍ نُشِرَ في كلية الآداب جامعة القادسيَّةِ ...

وهُنا أمرٌ يجبُ أنْ نُجاهرَ بهِ وهو أنّ َهناك دراساتٍ كثيرةً قامَتْ حول مهيار، وقد أشارَتْ هذه الدِّراساتُ إلى ظاهرةِ التَّشيُّعِ عندهُ ، لكنَّ هذه الدِّراساتِ لم تُفصِّلْ القولَ في هذا التَّشيُّعِ ، فلم تتحدث عن مضامين التشيُّع عند مهيار ، وكذلك لم تقم هذه الدراسات بدراسة التشيُّع عند مهيار من الناحية الفنيَّة والجماليَّة والتصويريَّة والإيقاعيَّة ، ومن هذه الدِّراسات الدِّراسةُ الَّتِي قامَ بها الأستاذ عليّ عليّ الفلال وعنوانها " مهيار وشعره"، والدِّراسة الَّتي قامَ بها الأستاذ محمَّد موسى وعنوانها " مهيار الدَّيلميّ ".

هذا وقد قمتُ بتقسيمِ هذا البحثِ إلى مقدِّمة وأربعة مباحث وخاتمة، وقد تحدَّثْتُ في المقدِّمةِ عن أسبابِ الحديثِ عن هذا الموضوع ، وتحدَّثْتُ في المبحث الأوَّل عن الصِّراعِ المذهبيِّ من منظورٍ تاريخيٍّ ، كما تحدَّثْتُ في المبحثِ الثَّاني عن العصرِ وحياةِ الشَّاعر ، وتناولتُ في المبحث الثَّالث التشيُّع في شعر مهيار من النَّاحيةِ الفكريَّةِ والموضوعيَّةِ ، وفي

المبحث الرَّابعِ قمتُ بدراسة التشيُّع في شعر مهيار بصفته ظاهرةٍ فنيَّةٍ تأثَّرَتْ كثيراً بمضامينِ الفكر الشيِّعيِّ ، وتأتِي الخاتمة ؛ لتكشفَ عن أهمِّ النتائجِ الَّتِي انتهَتْ إليها هذه الدِّراسة .والتي تمثَّلَتْ في أنَّ مهيار :

١-أكثرَ في شعرهِ من الحديثِ عن مناقب آل البيت في عصرهِ وقبل عصرهِ ، رأينا ذلك في حديثهِ عن مناقب الإمامِ عليٍّ ، والحسينِ ، والحسنِ ، وكذلك في حديثهِ عن مناقب الشَّريفين الرَّضيِّ والمُرتضَى، كما تجلَّى ذَلكَ في الحديثِ عن مناقب كثيرٍ من أعلامِ الشِّيعةِ في عصرهِ ...

٢- أرادَ من خلالِ حديثهِ عن المناقب إثباتَ الحقِّ الشِّيعيِّ في الإمامةِ، وهو حقٌّ يراهُ مهيار تاريخيّاً ودينيَّاً .

٣- أكثرَ في شعر التشيُّع من ذكر مثالبِ المعارضين ، وقد تعرَّضَ في هذا الذِّكرِ إلى النَّيلِ من كبارِ الصَّحابةِ وبخاصَّةٍ الخلفاءُ الرَّاشدونَ، وهذا أمرُ لم نقبلْهُ مطلقاً ، وقد ذكرنا عند حديثنا عن هذه المثالب في شعر التشيُّع أنَّ هؤلاءِ الصَّحابةَ الَّذين نالَ مهيار منهُم ، هم الَّذين اختارهُمْ اللَّهُ لصحبةِ نبيِّهِ ، وهُمْ أيضاً الَّذين رَضِيَ اللَّهُ عنهُمْ ورضُوا عنهُ.

٤-أكثرَ في شعرهِ من الحديثِ عن البُطولاتِ التَّاريخيَّةِ لآل البيتِ وبخاصَّةٍ للإمامِ عليٍّ ، وكانَ يُريدُ من خلالِ الحديثِ عن هذه البطولاتِ أنْ يُؤكِّدَ على حقِّ الإمامِ عليٍّ في الميراثِ النَّبويِّ ....

٥- تحدَّثَ في شعرهِ عن الدَّافعِ الَّذِي جعلهُ يدافعُ عن حقِّ آل البيتِ في الإمامة ، فقد ذكرَ في شعرهِ أنَّه أسلمَ على يد الشَّريف الرَّضِيّ ، وكانَ هذا من أسبابِ حبِّهِ ودفاعهِ .

٦- قد أجادَ في اختيار اللُّغةِ الَّتِي استطاعَ بها أنْ يُصوِّرَ الحق الشيعي تصويراً قويَّاً ، وقد كشفَ هذا التَّصويرُ اللُّغويُّ عن براعةٍ فنيَّةٍ وقدرةٍ أدبيَّةٍ عاليةٍ .

٧- استطاعَ من خلالِ اللُّغةِ أن يُقدِّمَ تفصيلاً لتاريخِ التشيُّع وحركته منذ ظهورهِ إلى عصرهِ ، وقد ذكر مهيار في هذا التَّفصيلِ كلَّ ما يتعلَّقُ بالتشيُّع من شخصيَّاتِ وأماكنِ وأزمانِ وأيَّامِ ، فقد جعل مهيار شعرَهُ في التشيُّع يشبهُ إلى حدٍ كبيرٍ ملحمةً تاريخيَّةً في وصفِ بطولاتٍ آل البيتِ .

٨-استطاع من خلالِ التَّصويرِ الجزئي والكليِّ أن يكشفَ عن المشاعر المتنوِّعةِ في نفسهِ ، فقد كانَ شعرُهُ في آل البيتِ يحملُ قدراً كبيراً من الحزنِ ، وهذا ما جعلَ مهيار في صورهِ الجزئيَّةِ يكثرُ من المجازِ وبخاصَّةٍ الاستعارةُ .

٩- كانَ متمكِّناً جداً من استخدامِ الإيقاعِ ، وقد ساعدهُ هذا الإيقاعُ على تجسيدِ الحركة في المضمون الشيِّعيِّ ،وهذا ما جعلهُ يحرصُ على بعضِ الأوزانِ والقوافي الَّتي رآها قادرةً على هذا التَّجسيد ، ومن الأوزانِ الَّتِي كانَ مهيار حريصاً على إيرادها في شعر الصِّراع بحر الطَّويل والكامل والرجز البسيط والمتقارب والخفيف .

وبعد فإنَّ الحمدَ للَّهِ على توفيقهِ وعونهِ ، فلولا اللَّهُ ما كانَتْ هذه الدِّراسةُ وما كانَ هذا الجهدُ ، وأسأله سبحانهُ أن يجعلهُ عملاً خالصاً لوجههِ ، وأن يمنحهُ القَبول والرِّضَى . كما أنَّني أتوجهُ إلى اللَّهِ سبحانه وتعالى وأسأله بكرمه وجوده أن يبارك في أساتذتي و أن يمنحَهُم الصِّحةَ والعافيةَ ؛ ليكونوا دائماً مصابيحَ الهدايةِ والنور لطلابِ العلم وقاصدي المعرفة ، إنَّهُ حسبُنا ونعمَ الوكيل (ربنا لا تُزغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنَّكَ أنت الوهَّاب) .

المبحث الأوَّل

التشيُّع من منظور تاريخيّ

انتقلَ الرَّسُولُ الكريمُ ـ ﷺ ـ إلى الرَّفيقِ الأعلَى ولمْ يستخلفْ أحداً من أصحابهِ في قيادةِ الأمَّةِ ، لكنَّهُ ـ ﷺ ـ تركَ دستوراً معلِّماً وهادياً ، وكانَ في هذا الدُّستورِ نجاةُ الأمّةِ وقوّتُها ، فقَد نصَّ هذا الدُّستورُ على ضرورةِ الأخذِ بمبدأِ الشُّورى في كلِّ الأمورِ المصيريَّةِ المهمَّةِ والَّتي تحتاجُ إلى هذا المنهجِ الرَّاسخِ في الإسلامِ ، وقدْ كانَ الرَّسُولُ ـ ﷺ ـ ملتزماً بهذا الأخذِ في حياتِهِ ، رأيناه ـ ﷺ ـ يفعلُ ذلكَ في مواقفَ خطيرةٍ ذكرها المؤرِّخُون ، وما حدثَ في غزوةِ بدرٍ خيرُ شاهدٍ على ذلِكَ ، وكانَ في هذا الفعلِ من الرَّسُولِ ـ ﷺ ـ تعليمٌ للأمّةِ ؛ كي تسيرَ في الطَّريقِ نفسِه ، وأن تلتزمَ بالمنهجِ نفسِه.

وقد رأينا الصّحابةَ الكرامَ بعد وفاةِ الرَّسُول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ يكشفُونَ عن عميقِ الدِّين في نفوسِهِمْ ، فرأينا الحُبَّ والإيثارَ يُرافقُهُمْ في هذه المرحلةِ الدَّقيقةِ من حياةِ هذه الأُمَّةِ العظيمةِ والخالدةِ بأمر اللَّهِ وإرادتِهِ ، وقد تجلَّتْ هذه المعاني العميقةُ في نفوسِهم عند اختيارِ الخليفةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ .....

فقد ذهبَ المهاجرون إلى سقيفةِ بني ساعدة [1]الَّتي اجتمعَ فيها الأنصارُ بعد وفاةِ الرَّسُول ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ؛ لاختيارِ خليفةٍ من بينهم لرسول اللَّهِ ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ ، وقد أجمعَ الأنصارُ في السَّقيفةِ على اختيار سعد بنِ عُبادةَ (ت : ١٥ هـ) [2] خليفةً ...

---

(١) سقيفة بني ساعدة : موضعٌ بالمدينةِ فيه ظُلَّةٌ كانُ الأنصارُ وغيرُهم يجتمعون تحته ....ينظر : جمهرة اللُّغة : لابن دريد ، تحقيق : رمزي البعلبكيّ ، (ط : الأولى) ، دار العلم للملايين ، (١٩٨٧ م) ، (٢ / ٨٤٧) .

(٢) تُوفي بحَوران من أرضِ الشَّامِ ، وقد كانَ سعدُ سبَّاقاً إلى الإسلامِ ، وكانَ يُقالُ لهُ

ولمَّا حضر المهاجرونَ إلى السَّقيفةِ ، وعلمُوا بما اتَّفقَ عليهِ الأنصارِ من اختيارِ سعد ، دارَ حوارٌ هادئ بين المهاجرين والأنصارِ ....فلمْ يكُن هناكَ صِراعٌ ولا فتنةٌ وبخاصَّةٍ في هذه اللَّحظةِ ، بل إنَّنا نرَى سَعدَ بنَ عُبادة والَّذِي كانَ مرشَّحاً لمنصبِ الخلافةِ من قبلِ الأنصارِ ، يقُولُ للمهاجرين الَّذِين حضرُوا السَّقيفةَ : " أنتم الأُمراءُ ، ونحنُ الوزراءُ[1]....".

وكما كشفَتْ هذه اللَّحظاتُ عن عظمةِ الأنصارِ ، أظهرَتْ كذلك فضلَ المهاجرينَ وإيثارَهُمْ ، فهذا هُو عمرُ بنُ الخطَّاب (ت : ٢٣هـ)[2] في سقيفةِ بني ساعدةَ يلتفتُ إلى أبي عبيدةَ بن الجرَّاحِ (ت : ١٨ هـ) [3]، ويقُولُ لهُ : ابسُط يدَكَ ؛ لكي أُبايعَكَ ، فأنتَ أمينُ هذه الأُمَّةِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ ، فلا يستبشرُ أبو عبيدةَ ، ولا يرضَى ببيعةِ عمر لهُ ، ولا يتحمَّسُ لأخطرِ منصبٍ عرفَهُ الإسلامُ ، بل إنَّهُ يُعرضُ عن عُمرَ وعن

الكاملَ ، وقد = عرفَ سعدُ وأبناؤهُ بالكرم والجُودِ ...ينظر : الطبقات الكبرى : لابن سعد (ت : ٢٣٠ هـ) ، ٠ ط : الأولى) ، دار الكتب العلميَّة ، (١٤١٠ هـ ـــ ١٩٩٠ م) ، (٣ / ٤٦٠) .....

(١) إسلام بلا مذاهب : د / مصطفَى الشَّكعة ، (ط : الأولى) ، الدار المصريَّةِ اللبنانيَّة ، (١٩٩٦ م) ، (١١٧) ....

(٢) الفارُوق ، الَّذِي أعزَّ اللَّهُ به الإسلام ، فكانَتْ هجرتُه فتحاً ، وخلافتُه رحمةً . ينظر : الطبقات الكبرى : (٣ / ٢٠١) .

(٣) اسمُه : عامر بن عبد اللَّهِ بنِ الجرَّاح ، أسلمَ قبل دخولِ الرَّسُول ـــ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـــ دار الأرقمِ بن أبي الأرقمِ ، كما أنَّهُ هاجرَ الهجرةَ الثانيَة إلى بلادِ الحبشةِ ، وكانَتْ له مواقفُ بطوليَّةٌ في كلِّ ملاحمِ الإسلامِ ، تمنَّى عمر أن يكونَ حيَّاً عند وفاتهِ ؛ ليستخلِفَهُ ، وقال إذا سألنِي عن ذلك ، سأقول له : سمعتُ نبيَّكَ يقُولُ: هُو أمينُ هذه الأُمَّةِ ...ينظر : تاريخ دمشق : ابن عساكر(ت : ٥٧١هـ) ، دار الفكر ، (١٤١٥ هـ ـــ ١٩٩٥ م) ، (٦٧ /٦٣) .

المنصبِ ، ويقُول لـه فـي حـزمٍ وإيمـانٍ وحـبٍّ ووفـاءٍ : أَتبـايعُني وفـيكم الصِّدِّيقُ (ت : ١٣ هـ) [١] ، فيذهبُ عمرُ إلى الصِّدِّيق ، ويقُولُ لهُ : ابسُطْ يَدَكَ ؛ لكي أُبايعَك؛ أنتَ أفضلُ منِّي ، فيقُولُ لـهُ الصِّدِّيقُ : أنـت أقوَى منِّـي ، فيقُولُ لهُ عمرُ : إنَّ قُوَّتِي لَكَ مع فضلِكَ ...[٢]..."

ويظهرُ ممَّا سبقَ كيفَ كانَ التَّقديرُ الواضحُ من الأنصارِ للمهاجرين، وكذلكَ كيفَ كانَ الإيثارُ خلُقاً كريماً بينَ الصَّحابةِ من المهاجرين.... فهل يمكنُ أن يقالَ بعد ذلك إنَّهُ كانَ هناكَ صراعٌ بين الصَّحابةِ الأجلاءِ وبخاصَّةٍ في هذه المرحلةِ الحرجةِ بعد وفاةِ النَّبيِ ـ ﷺ ـ؟ لكن ما يمكنُ أن يقالَ : إنَّهُ كانَ هناكَ بين الصَّحابةِ خلاف فيمن يلِي الأمرَ بعد وفاةِ الرَّسُولِ الكريمِ، ومع هذا الخلافِ لم نرَ صراعاً ولا عنفاً ، وإن كنَّا سنراهُ فيما بعد ...

ولـذلك عنـدما يـأتي مـن يتحـدَّثُ عـن وجـودِ صـراعٍ وخـداعٍ بـين الصَّحابةِ بعد وفاةِ الرَّسُول ـ ﷺ ـ ، نقول له :إنَّ ما قلتَ بعيدٌ كُلَّ البُعدِ عن الحقيقةِ التَّاريخيَّةِ .....

فقد رأينـا صـاحبَ كتـابِ " أثـرِ التَّشيُّعِ فـي الأدبِ العربـيّ " يُصـوِّرُ الأمرَ على أنَّ ما حدثَ بعد وفاةِ الرَّسُول (ﷺ) كـانَ فتنـةً وصـراعاً وأطماعاً تحرَّكَتْ بعد وفاةِ الرَّسُولِ ، فهُو يقُول : " مـا كـادَ النَّبـيُّ (ﷺ) يلفِظُ النَّفَسَ الأخيرَ حتَّى تحرَّكَتْ أطمـاعُ بعضِ الصَّحابةِ فـي منصبِ الخلافـةِ ، وأظهرَ بعضهُمْ لبعضٍ العداوةَ والبغضاءَ ، وتكشفُ النُّفُوسُ عمَّا كانَتْ تنطوِي من

---

(١) ينظر في أبي بكر : مشاهير علماء الأنصار:ابن حبَّان (ت : ٣٥٤ هـ) ، (ط : الأولَى) ، دار الوفاء ، (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م) ، (١ / ٢) .

(٢) إسلام بلا مذاهب : (١١٨) ....

أمورٍ كانَتْ مستورةً مُدَّةَ حياةِ النَّبيِّ ، وظهرَتْ بعد ساعاتٍ قليلةٍ من وفاتهِ ...[١]." .ويقُولُ بعد ذَلِكَ : " وبعد أنْ تمَّتْ البيعةُ لأبي بكرٍ من الأنصارِ ، رأى بني أُمَيَّةَ [٢]مجتمعينَ حولَ عثمان (ت : ٣٥ هـ [٣]) وبني زهرة [٤]مع عبد الرَّحمنِ بنِ عوف (ت : ٣٢ هـ)[٥]، وبني هاشمٍ [٦] مع علي بن أبي طالبٍ (ت : ٤٠ هـ)[٧]، فقالَ عمرُ، وقد علم ما يجولُ في خاطرهِمْ: ما لكم مجتمعينَ حلَقاً شتَّى؟ قوموا فبايعُوا أبا بكرٍ ، فقد بايعَتْهُ الأنصارُ ، فبايعَ

---

(١) أثر التشيُّع في الأدب العربيّ : محمَّد سيّد كيلاني ، مكتبة مصر ، (١، ٢) ...

(٢) أسرةٌ عربيَّةٌ قرشيَّةٌ وليتْ أمورَ الأُمَّةِ حيناً من الدَّهرِ من سنة ٤١ هـ إلى سنة ١٣٢ هـ ، وتنسب هذه الأُسرةُ إلى أميَّةَ بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهُو جدُّ الأمويِّين بالشَّامِ والأندلُسِ، كانَ من سكَّانِ مكَّةَ ، وكانَتْ لهُ قيادةُ الحربِ في قريش بعد أبيهِ ، عاشَ إلى ما بعد مولد النَّبيّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم ، وكانَ هو وابنُ عمِّهِ عبد المطَّلبِ فيمَنْ وفد على سيفِ بنِ ذِي يزن في قصرهِ ...ينظر : الأعلام : (٢ / ٢٣) ..... (ط : دار صادر) ...

(٣) الأعلام : (٤ / ٢١٠) ..

(٤) يُنسبُون إلى زُهرة بن كلاب ، وهُو جدُّ آمنةَ بنت وهب ...ينظر : الأعلام : (٧ / ٧٩) ...

(٥) أحدُ العشرةِ الّذين بشَّرَهُمْ الرَّسُولُ بالجنَّةِ ، وأحدُ السَّتة أهل الشُّورَى ، وكانَ من السَّابقين ، وقد شهدَ بدراً مع الرَّسُولِ ﷺ، وله مناقبُ كثيرةٌ ...ينظر فيه : الإصابة في معرفةِ الصَّحابةِ :ابن حجر (ت : ٨٥٢ هـ) ، (ط : الأولى) دار الكتب العلميَّة ، (١٤١٥ هـ) ، (٤ / ٢٩٠) ...

(٦) ينسبُون إلى هاشم بن عبد مناف ، وهو أحدُ من انتهتْ إليهم السِّيادةُ في الجاهليَّةِ ، ومن بنيه النَّبيّ ﷺ، قال المؤرِّخون : اسمه : عمرو ، وغلبَ عليه لقبُه هاشم ؛وقد لقِّبَ بهِ ؛ لأنَّهُ أوَّلُ من هشَّمَ الثَّريدَ لقومهِ في إحدَى المجاعات ، وهو أوَّلُ من سنَّ الرِّحلتينِ لقريشٍ؛ للتِّجارةِ ، وكانَ أحد الأجواد الَّذين ضرب بهم المثلُ في الكرمِ ، وكانَتْ وفاتُهُ في غزَّةَ بفلسطين ، وهو شاب .. ينظر : الأعلام : (٨ / ٦٦) ..

(٧) الأعلام : (٤ / ٣٩٥) ...

كلٌ من كانَ في المسجدِ إلَّا عليَّاً والعبَّاس.". ويتحدَّثُ بعد ذلكَ عن بيعةِ عليٍّ للصِّدِّيقِ ، وكيفَ كانت أو تمَّتْ ، فيقُول :"وأخذوا عليَّاً ؛ ليُبايِعَ، فقالَ : أنا أحقُّ بهذا الأمرِ منكم، لا أبايعُكم، وأنتم أولى بالبيعةِ لي، أخذتُم هذا الأمرَ من الأنصارِ، واحتججتُم عليهم بالقرابةِ، وتأخذونهُ منَّا آل البيتِ، فقالَ عمرُ لستَ بمتروكٍ حتَّى تُبايعَ ، فقالَ له عليٌّ: احلبْ حلباً لك شطرُهُ"(١) .

وما قاله صاحبُ كتاب التَّشيُّعِ لا يتَّفِقُ مع حقائِقِ التَّاريخِ ، وقد سبقَت الإشارةُ إلى بعضِ هذه الحقائقِ الخالدةِ من هذا التَّاريخِ النَّاضرِ . كما أنَّ ما قالهُ ينافِي ويجافِي ما ذكرهُ القرآن الكريمُ ، وذكرتْهُ السُّنَّةُ المطهَّرةُ عن هؤلاءِ الصَّحابةِ الكرامِ ، فهل يمكنُ لقومٍ أو صحبٍ رضي اللَّهُ عنهُم ورضُوا عنهُ أن يكونوا بهذه الأخلاقِ ..؟ .

ويصبحُ الصِّدِّيقُ خليفةً للمسلمينَ ، وعندما يشعر بدنُو أجلهِ يعهدُ بالأمرِ إلى عمر بن الخطَّابِ ، وقد كانَ ذلك بعد مشاورةِ الصَّحابةِ الَّذينَ أجمعُوا على ما ذهبَ إليهِ الصِّدِّيقُ من اختيارِ عمر ، وقد كانَ انتقالُ الأمرِ من الصِّدِّيقِ إلى الفاروقِ هادئاً ، فلم تكن هناك خلافاتٌ ولا صراعاتٌ ....وبالمثلِ كانَ الانتقالُ الهاديْ للخلافةِ من الفاروقِ إلى عثمانَ ، فقد اجتمعَ الستةُ الَّذين اختارَهم عمرُ ؛ ليكونَ الأمرُ فيهم ، وقد أسفرَ هذا الاجتماعُ عن اختيارِ عثمان خليفةً .

وفي عهد الخليفةِ عثمانَ يبدأُ الصِّراعُ السياسيُّ في الظهورِ ؛ وقد كان ذلكَ بسبب الاعتراضِ على سياسةِ عثمانَ في بعضِ الأمورِ ، وقد

---

(١) أثر التشيع في الأدب العربي : (٢) .

انتهَى هذا الصراعُ بقتلِ الخليفةِ عثمانَ ، وبعد قتلِ عثمانَ يأخذ الصراعُ السياسيُّ طريقاً مختلفاً عمَّا رأيناهُ فيما سبقَ ، فقد انقسم المسلمونَ ، فرأينا من بايعَ الإمامَ عليًّا بالخلافةِ ، ورأينا من يطالبُ بدمِ عثمانَ ، ويرفضُ البيعةَ للإمامِ عليٍّ ؛ حتَّى يأخذَ بثأرِ عثمانَ ، ويصبحُ المسلمون شيعاً وأحزاباً ...وقد أدَّى هذا الانقسامُ والتَّشيُّعُ إلى إشعالِ الحروبِ حيناً من الدهرِ، وفي نهايةِ الأمرِ يكونُ الاحتكامِ إلى كتابِ اللَّهِ ، وتأتِي نتيجةُ التحكيمِ لتزيدَ الأمرَ اشتعالاً ...فقد قُتِل الإمامُ عليٌّ ، ويُختارُ الحسنُ (ت : ٥٠ هـ) [١]، فقد كانَ الحسنُ من الذين أرادَ اللهُ أن يجمعَ بهم شملَ هذه الأمّةِ التي انفرط عقدُها، فقد تنازلَ الحسنُ عن الخلافةِ ، وتحقَّقَ ما قالهُ النَّبيُّ ، ويُصلحُ الله به بين فئتين من المسلمين ...

ويصبحُ معاويةُ (ت : ٦٠ هـ) [٢] أميراً للمؤمنين بعد أن وافقَ للحسنِ بنِ عليٍّ على ما اشترط من شروطٍ ، لكنَّ معاويةَ لم يفِ بما عاهدَ عليهِ ، وقد ظهر ذلكَ جليًّاً عندما جعلَ الأمرَ من بعدهِ لابنهِ يزيدَ ، ولم يكُن يزيدُ محمودَ السيرةِ ، فقد قامت الدنيا ولم تقعُد بعد جعلِ ولايةِ ى العهد له .

عاد التمزّقُ إلى صفوفِ الأمّةِ من جديدٍ ، وليتَ الأُمّةَ قد تعلَّمَتْ من رسالةِ الحسنِ ، والتي أعتقدُ أنَّها كانَتْ رسالةً إلى كُلِّ من يخافُ على هذه الأُمَّةِ في كلِّ عصرٍ من العصورِ ، فهل وصلَتْ الرّسالةُ ؟ وهل وجدَتْ

---

(١) تاريخ الإسلام : للذهبيّ ، (ط : الأولى) ، دار الكتاب العربيّ ، (١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩ م) ، (٤ / ٣٣) ..

(٢) مؤسس الدولة الأمويّة . ينظر : سير أعلام النبلاء ، (٣ / ١٢٢) ، (مؤسسة الرسالة) ..

الرسالةُ آذاناً صاغيةً أو قلوباً واعيةً أو نفوساً مخلصةً . نعم لم يكُن يزيدُ الأحقَّ والأجدرَ ، لكن كنَّا نريدُ أن يكونَ في هذه الأمّةِ من يُعلِي من مصلحةِ الأُمَّةِ ..فقد أصبحَتْ الأُمَّةُ في خلافةِ يزيدَ أمماً ، والدَّولةُ دولاً ، والشِّيعةُ شيعاً . فالحسينُ يذهبُ إلى الكوفةِ ويقتلُ هناكَ ، وبعد ذلك يخرجُ ابنُ الزُّبير (ت : ٧٣ هـ) في مكَّةَ ، وتمتدُّ يدُه إلى العراقِ ومصر ، لكنَّهُ في النِّهايةِ يقضَى عليهِ ، وتستمرُّ الثوراتُ العلويَّةُ في كلِّ مكانٍ ، وقد قدَّمَ العلويُّونَ الكثيرَ من زعمائهِمْ في سبيلِ الوصولِ إلى غايتهم.

وفي عصر الأمويِّين يتحوَّلُ الصِّراعُ السياسيُّ إلى صراعٍ مذهبيٍّ ، وهذا ما قالهُ ويؤكِّدُ عليه الأستاذ الدكتور مصطفَى الشَّكعةِ ، فيقول : " والخلافُ السياسيُّ ما لبث أيضا أن دفع بهم إلى خلافٍ عقائديٍّ في صُلبِ الدينِ ، مزجُوا الدين بالسياسةِ ، وخلطوا بين الحكمِ والعقيدةِ ، وقد تجلَّى هذا الخلطُ في أمرينِ : الأول : يتعلّقُ بنظريةِ الخلافةِ ، وتتلخصُ في: أنَّ الخليفةَ يُختارُ اختياراً حراً من بين المسلمين ، وليس من الضروريّ أن يكونَ قرشيَّاً ، فمن حقِّ الحبشيِّ أن يُنتخَبَ متى أجمعَ المسلمون على انتخابهِ ، الثاني : عقائديّ محض ، فهم يقولون : إنَّ العمل بأوامرِ الدين جزءٌ من الإيمانِ ، وليس الإيمانَ كلَّهُ ..[1].".ويقول أيضا : " فلمَّا انشعبُوا إلى أحزابٍ عديدةٍ ، أصبحَ لكلِّ حزبٍ عقائده ونظرياتُهُ الدينيةُ ....."[2].

وكانَ من نتيجة هذا الخلطِ بين الدِّينِ والسياسةِ أن تعدَّدَتْ الآراءُ في مسألةِ الخلافةِ والإمامةِ ، فجمهورُ المسلمين يرونَ : أنَّ الخلافةَ يجبُ أن

---

(١) إسلام بلا مذاهب : (١٣٢) ..

(٢) إسلام بلا مذاهب : (١٣٢) .

تكونَ في قريش، لكنَّ الإباضيَّةَ اعتدُّوا شروطاً في الإمامةِ ، ومنها أن يكونَ الخليفةُ أهلاً لها ، وأن يكونَ عدلاً كريماً تقيَّاً ، وقد استأنسوا في ذلك بقوله تعالى : " إنَّ أكرمكم عند اللَّهِ أتقاكم [١] " .

وفي عصر العبَّاسيِّينَ يستمرُّ الصِّراعُ المذهبيُّ بين الأحزابِ والفرقِ الإسلاميَّةِ، فقد رأينا ظلالَ هذا الصِّراعِ عند الشِّيعةِ ، والخوارجِ ، وأهلِ السنةِ ، وقد ظهرَ أثرُ هذا الصراعِ المذهبيّ في شعرِ الشعراءِ الذين كانت لهم انتماءاتٌ مذهبيَّةٌ ....

وقد رأينا ذلك الأثرَ جليَّاً في الأدب العربيّ في كلّ العصورِ ، ففي عصرِ الأمويّين نرى الكُمَيتَ الأسديَّ (ت : ١٢٦ هـ)[٢] يفردُ جزءاً كبيراً من شعرهِ للحديثِ عن حقِّ الهاشميين من آل عليٍّ في الخلافةِ ، وقد ذكرَ في هذا الشِّعرِ الحججَ والبراهين التي تؤكّدُ على هذا الحقِّ ، ومن يقرأ الهاشمياتِ يجدها تكشفُ عن ذلكَ ، وممَّا جاءَ في الهاشمياتِ في هذا السبيل قولُ الكميت[٣] (من الطويل) :

---

(١) الحجرات : (آية : ١٣) .

(٢) ديوان الكميت : جمع وشرح وتحقيق : محمد نبيل طريفي ، (ط : الأولى) ، دار صادر ، (٢٠٠٠م) ، (٥١٤) .

(٣) شاعرُ الهاشميِّين من أهلِ الكوفةِ اشتهرَ في العصرِ الأمويّ ، وكانَ عالماً بآدابِ العربِ ولغاتها وأخبارها وأسابها ، ثقةً في علمهِ ، منحازاً إلى بني هاشمٍ ، كثيرَ المدحِ لهم ، متعصّباً للمُضريّةِ على القحطانيَّةِ ، وهو من أصحابِ الملحمات، أشهر قصائده الهاشميات ، وهي عدَّةُ قصائدَ في مدحِ الهاشميين ، ترجمت إلى الألمانيّةِ . قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبةٌ غير الكميت ، لكفاهُمْ . وقال أبو عكرمة الضَّبيّ : لولا شعر الكميت ، لم يكن للغة ترجمان، اجتمعت فيه خصالٌ لم تجتمعْ

إلـى النّفـرِ البـيضِ الّـذِين بحـبِّهِمْ إلـــى اللهِ فيمـــا نـــالنِي أتقـــرَّبُ
بنـــي هاشـــمٍ رهـــطِ النّبـــيِّ فـــإنّنِي بهـمْ ولهـمُ أرضَـى مـراراً وأغضـبُ
خفضْـتُ لهـمْ منِّـي جنـاحَي مـودَّةٍ إلـى كنـفٍ عطفـاهُ أهـلٌ ومرحـبُ
وكنـتُ لهـمْ مـن هـؤلاءِ وهـؤلاءِ مِجنّـــاً علـــى أنّـــي أذمُّ وأقصَـــبُ

وفي عصرِ العبَّاسيين نجدُ كثيراً من الشعراءِ يخوضونَ في هذا الصراعِ ؛ مدافعين عن حقِّ الشِّيعة وآل البيت في الخلافةِ ، ومن هؤلاءِ الشُّعراءِ دعبل بن عليٍّ الخزاعيُّ (ت : ٢٤٦ هـ)[1] ، فقد كانَ دعبلُ يرَى رأيَ الكميت ، ومضى دعبلُ يتحدَّثُ عن الحقِّ الشِّيعيّ في الخلافةِ ، وفي نفسِ الوقتِ يعرِّضُ بما فعلهُ الأُمويون والعباسيون على السّواءِ بالشِّيعةِ وآل البيتِ ، ومن شعر دعبل الذي يكشفُ فيهِ عن مذهبه وعن الصّراعِ السياسيّ في عصر العباسيين قوله[2] (من الطويل) :

مـدارسُ آيـاتٍ خلَـتْ مـن تـلاوةٍ ومنـزلُ وحـيٍ مقفـرُ العَرَصَـاتِ
لآلِ الرَّسُـولِ بـالخَيفِ مـن مِنَـى وبـالرُّكنِ والتَّعريـفِ والجمـراتِ

لشاعرٍ : كانَ خطيبَ بني أسد ، وفقيهَ الشيعةِ ، وكانَ فارساً شجاعاً سخيًّا، رامياً لم يكن في قومهِ أرمى منهُ ...ينظر : الأعلام (٥ / ٢٣٣) .

(١) ولد سنة ثمانٍ وأربعين ومائة ، وله شعرٌ مطبوعٌ ، لكنَّهُ كانَ كثيرَ الهجاءِ ، قلَّ أن يسلمَ منهُ أحدٌ ، وكانَ من غُلاةِ الشيعةِ . ينظر : المنتظم : لابن الجوزي (ت : ٥٩٧ هـ) ، تحقيق : محمَّد عبد القادر عطا ، (ط : الأولى) ، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، (١١ / ٣٤٢) .

(٢) ديوان دعبل الخزاعيّ : حسن حمد ، (ط : الأولى) ، دار الكتاب العربيّ (١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) ، (٤٠) .

ألـم تـرَ أنّـى مـن ثلاثـينَ حجَّـةً أروحُ وأغـدو دائـمَ الحسـرات
أرَى فيـئَهُمْ فـي غيـرِهِمْ متقسَّـما وأيـدِيَهُمْ مـن فَيـئِهم صـفرَاتِ

وكما تحدَّثَ شعراءُ الشيعةِ عن حقِّ آل البيتِ في الخلافةِ ، تحدَّثَ كذلكَ الشُّعراءُ المؤيّدون للعباسيين في هذا الصراع، وهم بهذا الحديثِ يُؤكِّدونَ على الحقِّ العباسي في الخلافةِ ، ومن هؤلاءِ الشعراءِ مروان بن أبي حفصة [1](تك ١٨١ هـ) ، يقول مروان[2] (من الكامل) :

يـابنَ الّـذِي ورِثَ النّبـيَّ محمـدا دونَ الأقـاربِ مـن ذوي الأرحـام
الـوحيُ بـينَ بنـي البنـاتِ وبيـنكُمْ قطـعَ الخصـامَ فـلاتَ حـينَ خصـامِ
أنّـى يكـونُ ولـيسَ ذاكَ بكـائنٍ لبنـي البنـاتِ وراثـةَ الأعمـامِ

هذا ما كانَ عن الصِّراعِ السّياسيّ والمذهبيّ من المنظورِ التَّاريخيّ في إيجاز، وقد أثبت التاريخ الحديثُ أنَّ هذا الصراعَ لم يكن موجوداً بعد وفاةِ الرَّسُول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وما حدثَ بعد وفاةِ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بين المهاجرين والأنصار كانَ خلافاً في وجهاتِ النَّظرِ، ولم يكن صراعاً ، وعندما اقتنعَ الأنصارُ بما قالهُ المهاجرونَ في أمرِ الخلافةِ ، بايعُوا الصديقَ ، واستقرَّتْ أمورَ الخلافةِ في عهدِ الصديقِ ،

---

(١) شاعر عبأَسيٌّ كبيرٌ ، مدحَ الخلفاءَ والأمراءَ والقادةَ ، وقد كانَ في هذا المدحِ يقصدُ إلى المالِ . ينظر فيهِ : البداية والنهاية : لابن كثير (ت : ٧٧٤ هـ) ، (ط : الأولى) ، دار إحياءِ التراثِ العربيّ ، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م) ، (١٠ / ١٩٠) .
(٢) ديوان مروان بن أبي حفصة : تحقيق : حسين عطوان ، (ط : الثالثة) ، دار المعارف ، (١٠٥) .

وكذلك في عهدِ عمرَ وعثمانَ ، ولمَّا قُتِلَ عثمانَ ، كانَ المسلمون على موعدٍ مع الصراعِ السّياسيّ والمذهبيّ بعد استشهادِ الحسين سنة ٦١ هـ . وبهذا لا نسلّمُ لمن يقولُ : إنَّ الصراعَ في كلِّ عصورهِ كانَ عاطفيَّاً أو سياسياً أو مذهبيَّاً ، فقد بدأ الأمرُ عاطفياً ، ثمّ صار سياسياً ، وانتهَى الصِّراعُ إلى أن أصبحَ سياسيَّاً مذهبيَّاً ، فقد أرادَ كلُّ فريقٍ أن يُلبسَ حُكمَهَ أو رغبتهُ في الحكمِ باللِّباسِ الشَّرعيّ ؛ ليضمَنَ لنفسهِ البقاءَ أو الوصولَ إلى الحُكمِ ....

المبحث الثاني

بطاقات معرفيَّة عن العصر والشَّاعر

أولا ـ العصر:

عاش مهيار في العصر العبَّاسيِّ الثاني (أو عصر الدِّول والإماراتِ كما سمَّاه الدكتور شوقي ضيف) ، وهذا العصر يبدأ من سنة ٣٣٤ هـ ؛

لأنَّ هذه السنة كانت حدًّا فاصلاً بين نفوذين مختلفين في التأثير والجنس ، فقد كان الترك قبل هذا العصر هم المسيطرون على الخلافة والخلفاء ، ولم يبق في يد الخليفة من الخلافة إلَّا اسمُها ورسمُها ..

ولمَّا رأى البويهيُّون الحالَ الَّتي وصلَتْ إليها الخلافة العبَّاسيَّةَ عزموا على دخول بغداد والقضاء على الأتراك الذين أخذ نجمهم في الأُفول.

وهذا ما جعل معزَّ الدولة البويهيّ (٣٥٦هـ) يتوجَّه من فارس إلى بغداد على رأس جيشٍ كبيرٍ ؛ ليدخلَ بغداد ، وليقضيَ على النُّفوذ التركيِّ ؛ الذي أخذ في الضَّعف ، وليعلن بذلك بداية عهد جديد تكون الكلمة العليا فيه في يد الفرسِ البويهيِّين ، وليست في يد الأتراك ولا في يد الخلفاء الذين أصبحوا لا يملكون لأنفسهم من الأمر شيئا ولا لغيرهم ...

فقد وصل معزُّ الدولة إلى بغداد ، بعد أن وصلت أخبارهُ إليها قبل ذلك ، فألقت الرُّعب في قلوب أهلها ، ولمَّا علم الخليفة المستكفيّ(ت : ٣٢٨هـ) بوصوله خاف خوفا شديدا ، وقد كان الخليفةُ محقًّا في خوفه الَّذِي أوجس في نفسه ، ولم يكن مطمئنا لما أظهره من تقدير لمقام الخلافة والخليفة ، وهذا ما جعل الخليفة يردُّ إليه إمرة الأمراء ، وأعطاه الطَّوق والسِّوار وآلة السلطنة ، وعقد له اللِّواء ، وهو أوَّلُ ملوك بني بويه في الحضرة الخليفيَّة ، ولم يكتفِ الخليفةُ بذلك ، بل لقَّبَهُ بمعزِّ الدَّولةِ ، وكان المستكفي أوَّلَ خليفةٍ لقَّبهُ بذلك ، كما أنَّ الخليفة لقَّبَ أخاه بعماد الدَّولة ،

وليت الأمر وقف عند هذا الحدّ ، فقد أمر الخليفةُ أن تضربَ ألقابُهُم على الدِّينار والدِّرهم[1].

لكن ماذا فعل معزُّ الدَّولة بعد كل هذه الحفاوة من الخليفة له ؟ لقد قام معزُّ الدَّولة بحبسه وخلعه من الخلافة ، فقد ذهب إلى الخليفة ،وقبَّل الأرض بين يديه ، وأمر المستكفي بطرح كرسيّ الخلافة ، فجلس عليه ، ثُمَّ أمر معزُّ الدَّولة رجلين أن يتقدَّما إلى الخليفة ، فظنَّ الخليفةُ أنَّهُما يريدان أن يقبِّلا يديه ، لكنَّ الرجلين جذباه من سريره الَّذِي كان يجلسُ عليه ، ووضعا عمامته في عنقه وسحباه ، ونهض معزُّ الدَّولة ، وضُربَت له الطُّبول بين يديه ، وذهب الرَّجلان بالخليفة إلى دار معزِّ الدَّولةِ ، وظلَّ بها معتقلاً إلى أن مات[2].

وكان دخول البويهيّين لبغداد واعتقالهم للخليفة بداية عهد جديد ، ولم يكن هذا العهد عهد خير للخلافة ولا للخلفاء ولا للمسلمين ، وكيف يأتي الخير ؟ وقد تمزَّق جسدُ الأمَّة ، وتبعثرتْ كلمتها ، وضاعتْ هيبةُ خلافتها .

وقد ظلَّ النفوذ الفارسيُّ البويهيُّ في هذا العصر قويًّا إلى أن تمكَّن الأتراك السَّلاجقة من القضاء على نفوذ البويهيِّين ، والاستيلاء على ما كان بأيديهم من ملك ونفوذٍ ..

١ـ الفخري في الآداب السلطانية : (٢٨٧) .
٢ـ السابق : (٢٨٧) .

وكما هو واضح ممَّا سبق أنَّ البويهيِّين عملوا منذ أوَّل يوم وطأت فيه أقدامهم أرض الخلافة على إخراج الخلفاء من دائرة صنع القرار، وإن حاول بعضُهم استعادة حقِّهم المسلوب في قيادة الأُمَّة ورعاية شؤونها ، كان الحبسُ والخلعُ والتَّعذيبُ هو المصير الَّذِي ينتظر من يفكِّرُ في ذلك أو يقدم عليه ..

فقد قبض الأتراك على الخليفة المتَّقي لله (ت : ٣٥٠ هـ) [١] وسملوا عينيه ، وخلعوه ، وبايعوا المستكفي (ت : ٣٣٨ هـ) ، وجاء البويهيُّون من بعدهم ففعلوا مثلهم ، بل زادوا عليهم ، فنراهم يعتقلون المستكفي (ت : ٣٣٨ هـ)[٢] ، وينهبون داره ويسملون عينيه ، وظلَّ معتقلا إلى أن مات . وقيل : كان يخرج مرَّةً ويعتقل مرَّة ، وهو في مرَّاته الَّتي خرج منها ، كان يتسوَّلُ أمام مسجد المنصور، وكان يقصد بذلك التعريض بالخليفة العبَّاسيّ ، وقد رآه بعض الهاشميين ، فتصدَّق عليه ونهاه عن ذلك .. وبالمثل فعلوا مع الخليفة المطيع (ت: ٣٦٤ هـ) [٣]، وتكرَّر الأمرُ نفسه مع ابنه ، ولكن للحقِّ نقول : إنَّ البويهيِّين لم يستطيعوا أن يقدِّموا رجلا أو يؤخِّروها أمام هيبة الخليفة القادر بالله (ت:٤٢٢هـ)[٤] الَّذِي أعاد للخلافة رونقها وللدَّولة هيبتها ، يدلُّ على ذلك أنَّهُ مكثَ في الحكم ما يزيدُ عن أربعين سنة ، ولم يستطعْ البويهيُّون حبسه أو خلعهُ ،

---

١ ـ السابق : (٢٨٩).
٢ ـ السابق : (٢٨٩) .
٣ ـ السابق : (٢٨٩) .
٤ ـ السابق : (٢٩٠) .

وكـذلك عجـزوا عـن فعـل الأمـر نفســه مــع الخليفــة القــائم بــأمر اللَّهِ (ت:٤٦٧ هـ)[١]..

وقد أدّى ازدياد النُّفوذ البويهيّ وضعف التأثير الخلافيّ إلى ضعف الأمَّة الإسلامية وبالتَّالي أدَّى إلى تمزُّقها وانهيارها ...

ثانيا ـــ بطاقات معرفية عن مهيار الديلميّ :

١ ـ اسمه ونسبه ومولده :

لم تذكرْ المصادرُ إلَّا اسمَهُ واسمَ أبيه ، وقد أجمعت عليهما ، فهو : مهيار بن مرزَويه[٢]، وإذا كانَتْ المصادر قد أجمعتْ على اسمه ، فقد اختلفت هذه المصادرُ في تحديد كنيته ، فأكثر المصادر أشارتْ إلى أنَّهُ يُكنَى بأبي الحسن ،[٣] وقد ذكرت بعض المصادر أنَّهُ كان يُكنَى بأبي الحسين ،[٤] ونشعر من خلال الكنيتين أنَّهُ كان محبًّا ومخلصا لآل البيت ـ رضي الله عنهم .

---

١ ـ السابق : (٢٩٢) .

٢ ـ ينظر في ذلك : الوافي بالوفيات : الصَّفديّ (ت : ٧٦٤ هـ) ، تحقيق : أحمد الأرناؤط ، دار إحياء التراث ، (١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠م) ، (٤ / ٧٦٤) ، وتوضيح المشتبه في ضبط أسماء الرُّواة وأنسابهم وألقابهم : ابن ناصر الدِّين (ت : ٨٤٢ هـ) ، (ط : الأولى) ، مؤسسة الرِّسالة ، (١٩٩٣ م) ، (٢٩٨/٨)، ومعجم المؤلفين : عمر كحالة (١٤٠٨ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) ، (٣ / ٩٢٧) ..

٣ ـ توضيح المشتبه : (٨ / ٢٩٨) ، ومعجم المؤلفين : (٣ / ٩٢٧) ، وعصر الدول والإمارات : شوقي ضيف ، (ط : الثانية) ، دار المعارف ، (٣٦٧) ..

٤ ـ البداية والنهاية : (١٨١٠) ، (ط : بيت الأفكار) ، والأعلام : (٧ / ٣١٧) ...

هذا وقد ولد مهيار في بغداد سنة ٣٦٠هـ ، وكان منزله بدرب الكرخ ، وقد أشار كثير من المؤرخين إلى ذلك ،ولكنّ ألورد أهوارَ يرى أنَّهُ ولد في بلادِ الدَّيلم في جنوب جَيلان على بحر قزوين ، وأنَّهُ جاء إلى بغداد من أجل الترجمة من الفارسيِّة إلى العربيَّة [١] ..

ومن المؤرخين الذين أشاروا إلى مولده في بغداد شوقي ضيف ، يقول وهو في كلامه يظنُّ أنَّهُ ولد في بغداد ، والَّذِي جعله يظنُّ ذلك أنَّهُ وجد كثيرا من المجوس يقيمون في بغداد وبالتحديد في حيّ الكرخ ، يقول ضيف : " وليس لدينا معلومات مؤكَّدة عن مسقط رأسه ونشأته ، فهل ولد في بغداد وبها نشأ ، وكان بها مجوس كثيرون ، أو ولد في بلاد الدَّيلم ، وهاجرَ منها وحده أو مع أبيه ، وأغلب الظنّ أنَّهُ ولد ببغداد وبها نشأ...[٢]."

٢ ـ إسلامه :

كان مهيار مجوسيًّا في بداية أمره ، وقد كان للشريف الرضيّ (ت:٤٠٦ هـ) دور في إسلامه ، وهذا ما قال به ابن خلِّكان في كتابه وفيات الأعيان ، فهو يقول : " أبو الحسن مهيار بن مرزويه، الكاتب الفارسيّ الدَّيلميّ الشاعر المشهور ، كان مجوسيًّا فأسلم ، ويقال إنَّ إسلامه كان على يد الشريف الرضيّ أبي الحسم محمد الموسويّ ، وهو شيخه وعليه تخرَّجَ في نظم الشِّعر ، وقد وازن كثيرا من قصائده ، وذكر شيخنا ابن الأثير أنَّه أسلم في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، فقال له أبو القاسم بن

---

١ ـ الأعلام : (٧ / ٣١٧) ..

٢ ـ عصر الدول والإمارات : (٣٦٧) ..

برهان : يا مهيار قد انتقلت بإسلامك في النار من زاوية إلى أخرى ، فقال: وكيف ذلك ؟ كنت مجوسيًا ، فصرت تسب الصحابة أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام في شعرك ..[1] .

وإسلامه يسبق السنة التي أشار إليها ابن خلِّكان ، وهي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وكان الذي ذهب به إلى هذا الرأي ، وما وجده في ديوانه من شعر مدح به من أنقذه من المجوسيَّة ، وقد أرَّخَ هذا الشِّعر في سنة تسبق السنة التي عناها ابن خلكّان ، فهو يقولُ في كتابه عصر الدول والإمارات قسم العراق : " ويقول بعض مترجميه إنَّهُ أسلم على يد الشريف الرضيّ سنة ٣٩٤ هـ ، ونظنُّ ظنًّا أنَّ إسلامه يسبق هذه السنة بشهادة كثير من قصائدة المؤرَّخة في ديوانه ، ونراه يذكر أبا العبَّاس الضَّبيّ في هدايته وإرشاده إلى الإسلام ..[2].

٣ ـ مذهبه :

دخل مهيار الإسلام على يد الشريف الرضيّ ، ولمَّا دخل الإسلام تعصَّبَ ف رأيه وشعره للمذهب الشِّيعيّ ، فقد كان مهيار يعتقدُ في شعره مذهب الشِّيعة الإماميَّة ، وهؤلاء يقولون بأنَّ الإمامة لعليّ بن أبي طالب

---

١ ـ وفيات الأعيان : ابن خلكان (ت : ٦٨١ هـ) ، تحقيق : إحسان عبَّاس ، دار صادر ، (٥ / ٣٩٥ ٩ .

٢ ـ عصر الدول والإمارات : (٣٦٧) ...

وأبنائه ، وهم يرون أنَّ طاعة الإمام من طاعة اللَّهِ ، فهي ركن من أركان هذا الدِّين ، وأساس من أسس الإيمان ، ولا فرق بينها وبين أيَّة فريضة أخرى من الفرائض ، كما يرون أنَّ الإمام هو الَّذِي يحُطُّ عنهم ذنوبهم وخطاياهم ، ويخلِّصهم من الإصر والأوزار .[1]." . وما دامت طاعة الإمام من الدِّين ، فإنَّ النَّصَّ عليه من الدِّين ، ولذلك فقد كانوا يعتقدون بإمامة عليٍّ بالنَّصِّ ، ترتَّبَ على ذلك أنهم جعلوا حبّ عليٍّ أساسا من أسس الدِّينِ ، وقد ساقهم ذلك إلى تكفير كلِّ من نازع عليًا في هذا الحقِّ .[2].".

ومن هنا فقد رأينا مهيار في شعره يقف موقف الشيعة الإماميَّة ، فهو يقول : بحقِّ عليٍّ وأبنائه في إمامة المسلمين ، ويرى أنَّ الخلفاء الثلاثة قد اغتصبوا الخلافة من عليٍّ ، ولم يقف عند هذا الحدِّ ، بل رأيناه يطعن في هؤلاءِ الخلفاء ، ويصفهم بما ليس فيهم ، وما ليس بحق ، وقد سبق أن ذكرنا في المبحث الأول أنَّ الصدِّيق ومن جاء بعده من الخلفاء قد تولوا هذا الأمر بإجماع من المسلمين ، كما أنَّهُ لم يكن هناك نصٌّ صريحٌ يحدِّدُ من يلي هذا الأمرَ بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فالإسلام نصَّ على الشُّورى ، والشورى تعني الأفضل ، وليس الأقرب ، وكنَّا نتمنَّى أن يكونَ موقف مهيار موقف الجماعة ، فإذا أجمعت على أمر وبخاصَّةٍ إذا كان هذا الأمر في الماضيّ ؛ لأنَّ إثارة الماضي قد يؤدي إلى صراع في الحاضر.

٤ ـ شعره :

---

١ ـ أثر التشيُّع في الأدب العربيّ : (١٩) .

٢ ـ السابق : (١٩) .

مهيار شاعر غزير المادة ، قلَّ من جاراه من شعراء العربية في كثرة النظم وفي الإسهاب في منظوماته ، ويصح القولُ في مهيار إنَّه نوَّاحة مدَّاحة ، فكل ما جاء في ديوانه الضَّخم لا يخرج عن هذين البابين ، وكان له من قوَّة الطبع خير رافد على الإكثار من النظم الطويل ، وقد جمع شعره في ديوان ضخم ، وقد ظهر هذا الديوان في أربعة أجزاء ، وقد طبع هذا الديوان بمطبعة دار الكتب المصرية ، وظهرت هذه الطبعة سنة ١٣٤٤هـ والتي توافق سنة ١٩٢٥ م ، وقد قام بتحقيق الديوان الأستاذ أحمد نسيم ، كما أن هيئة قصور الثقافة أخرجت الديوان في ثوب جديد ، وقد جاء هذا الديوان في جزأين ، وقد اعتمدت في هذا البحث على طبعة دار الكتب المصرية ..[1] .

ومهيار في ديوانه يعبر عن شخصيِّته وتكوينه الفكريّ والمذهبيّ ، فهو في الدِّيوان يمدح كثيرا من الوزراء كأبي القاسم عبد الرحيم ، وأبي طالب بن أيُّوب ، وغيرهم .

وهنا أمر يجدر الإشارة إليه ، وهو أنَّ مهيار لم يمدح البويهيين ، وكذلك العباسيين ، وقد كان للأستاذ محمد موسى رأي في هذا الأمر ، فهو يقول : " وهناك ظاهرة لابُدَّ من الإشارة إليها ، وهي أنَّ مهيار لم يمدح أحدا من الخلفاء العباسيين ، وهذا ما نستغربه ؛ لأنَّ أكثر الشعراء الذين مدحوا كانوا يوقفون مدائحهم على الخلفاء ، وإذا ما أجهدنا أنفسنا وحاولنا اكتشاف الأسباب ، رجحنا أنَّ غلوَّ مهيار في تشيُّعه من جهة ، وضعف الخلفاء من جهة ثانية ، وعصبية مهيار من جهة ثالثة ، كل هذه الأسباب حالت دون الشاعر ومدحه الخلفاء وهم من أهل السنة ؛ فقد

---

١ ـ مهيار : محمد على موسى ، (ط : الأولى) ، (١٩٦١م) ، (٣٢) ...

أصبحوا لا حول لهم ولا قوة ولا قدرة ولا مال لديهم كي يجودوا به ، فالخلافة في العصر أصبحت اسما ، وأصبح القول والفعل للملوك والسَّلاطين من آل بويه وأخذ هؤلاء يضيِّقون الخناق على الخلفاء ، ولا يجودون لهم من المال إلَّا بمقدار .."[1] .

وكذلك لم يمدح مهيار بني بويه إلَّا ما كان من مدحه لجلال الدولة ، وقد يكون ذلك كما يقول الأستاذ محمد موسى : " لأنَّهُ لم ير كرما .[2] " .

ومهيار في هذا الديوان يكشف عن تشيُّعه وشعوبيَّته وغزله ومشاعره الرِّثائيَّةِ ... وفي هذا البحث سنقف بالتفصيل مع التشيُّع في شعره ، وكيف كان شعر مهيار تصويرا حقيقيا وانعكاسا حيًّا لما كان في العصر العباسيّ من صراع مذهبيّ بين الشيعة والسنة ...

٥ ـ آراء النقاد في شعره :

مهيار من الشعراء العباسيين الكبار الذين طارت شهرتهم في كل مكان ، فهو شاعر عصره وزمانه ، فقد صارت إليه إمارة الشعر بعد وفاة الشريف الرضيّ ، وقد كان هناك إعجاب كبير بشعره في عصره وبعد عصره .

فهذا هو ابن خلِّكان في كتابه وفيات الأعيان يثني ثناء عاطرا على مهيار وشعره ، فيقول : وكان شاعرا جزلَ القول ، مقدما على أهل زمانه ،

---

١ ـ السابق : (٢٩) .
٢ ـ السابق : (٣٠) .

وله ديوان كبير يدخل في أربعة أجزاء ، وهو رقيق الحاشية ، طويل النفس في قصائده ..[1]".

وإذا كان ابن خلِّكان يشيد بشعر مهيار ؛ لأنَّهُ طويل النَّفس ، فإنَّ الدكتور شوقي ضيف يرى في طول القصائد عند مهيار نوعا من التَّلفيق ، فيقول : لم يقف مهيار بتلفيقه عند تطويل الأفكار المطروقة والخواطر الموروثة في أسلوبه المنبسط ، بل راح يحاول تحقيق ذلك من طرق أخرى ، وهي إدخال مراسيم الرسائل في قصائده ؛ حتى يستطيع أن يطيل فيها طولا شديدا ، وإنَّ الإنسان ليشعر شعورا واضحا إزاء كثير من نماذجه بأنَّها قد أُلِّفَت كما تؤلَّفُ الرسائل .[2]".

وإذا كان الدكتور شوقي ضيف ينكر على مهيار ما في قصائده من طول وما في معانيه من تكرار ، فإنَّهُ يعترف لمهيار بالقدرة على الإبداع في التعبير الموسيقي . فيقول في التعليق على قصيدة غزلية جاء في أولها (من الرمل) [3] :

سلْ طريقَ العيسِ من وادي الغضا كيف أغسقت لنا رأد الضُّحى

يا نسيم الصُّبح من كاظمة شدَّ ما هجت الهوى والبُرحا

ولا يروعك ما تجده في هذه القصيدة من موسيقى جيدة ، فهي لا تطرد في بقية قصيدته فضلا عن قصائده ، إنَّما هي أبيات وقطع نادرة في

---

١ ـ وفيات الأعيان : (٥ / ٢٥٦) .

٢ ـ الدول والإمارات : (١ / ٢٠٢) .

٣ ـ الديوان : (١ / ٢٠٢) .

ديوانه تستقيم فيها الموسيقى ، ويستقيم فيها التعبير ، على أنَّ جمال هذه القطعة في الواقع يأتي من جمال ، وإن كان محدودا كما يقول ....قبل كل شيء ممَّا فيها من تواجد وحنين ، ولذلك يقع منَّا موقعا طريفا .[1]".

وما قاله الدكتور شوقي ضيف وإن كان يحمل نوعا من اللوم أو التقليل من شاعرية مهيار ، فإنه في نفس الوقت يتضمن إطراءً وإعجابا بما في القصيدة .

المبحث الثالث

التشيُّع في شعر مِهيار

رؤية موضوعيَّة

أولا- المناقب [2]:

---

١ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربيّ : شوقي ضيف ، (ط : ١٢) ، دار المعارف ، (٣٧١) .

(٢) جمع مَنقبة : والمنقبةُ : كرمُ الفِعل...اللسان : (١/ ٦٦٨) .

كانَ مِهيار مؤمناً بحقِّ آل البيتِ من العلويِّينِ في الخلافةِ ، وقد اتَّخذَ من أجلِ إثباتِ هذا الحقِّ طريقَ الاستحضار التَّاريخيِّ ، فقد قرأَ مِهيار التَّاريخَ العلويَّ الهاشميَّ الشيِّعيَّ قراءةً متعمِّقَةً واعيةً ، وقد وقفَ من خلالِ هذه القراءةِ على ما كانَ يتَّصفُ بهِ آلُ البيت من كريمِ السِّجايا والخلالِ ، وكانَ في هذه المكارمِ ما يجعلُهم جديرينَ بهذا الأمرِ وقيادةِ الأُمَّةِ كما يرَى مِهيار ...

وقد رأينا مِهيار في شعرهِ يكشفُ عن كثيرٍ من المناقبِ العلويَّةِ والشِّيعيَّةِ بقصدِ ما كانَ يسعَى إليهِ من التَّذكيرِ بالحقِّ الشِّيعيِّ في الإمامةِ والخلافةِ . فقَد تحدَّثَ مِهيار عن إسلامِ العلويِّينِ المتقدِّمِ ، وقد تمثَّلَ ذلكَ السَّبقُ في إسلامِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب المُبكِّرِ ، فقد كانَ الإمامُ كما تقُولُ كتبُ السِّيرَة أوَّلَ من أسلَمَ من الصِّبيان ، كما تناولَ مِهيار في شعرهِ المواقفَ الأخلاقيَّةَ والبطوليَّةَ للإمامِ عليٍّ ، وهي مواقفُ ناصعةٌ يعرفُها كلُّ المنصفين ، وسنظهرُ في هذا المكانِ بعضاً من هذه المناقبِ كما جاءَتْ في شعرِ مِهيار .... ومن هذه المناقبِ ما جاءَ في قولهِ [1](من الخفيف) :

لي في الشَّيبِ صارفٌ ومن الحُز نِ ، علـى آل أحمـدٍ إشـغالُ

معشرُ الرُّشدِ [2]والهُدَى حكمَ البَغ يُ ، علـيهم سـفاهةُ والضَّـلالُ

---

(١) الديوان : (٣/ ١٦) ، ط دار الكتب المصريَّة ...

(٢) الرُّشد وكذلك الرَّشد والرَّشاد : أن يعرف العاقلُ وجه الحقِّ والطَّريق . ينظر اللِّسان : (١٥ / ١٧٥) ..الهُدَى : أنْ يدلَّ الإنسانُ غيرَهُ إلى الطَّريق . اللسان (١٥ / ٣٥٤) ...

البيتانِ من قصيدةٍ طويلةٍ يمدحُ فيها مِهيار آلَ البيت ، ومع أنَّ القصيدةَ في مدحِ آلِ البيتِ إلَّا أنَّ ما جاءَ في المدحِ منها قليلٌ إذا ما قِيسَ بالمعاني الأخرى ، وكأنَّه من خلالِ هذا الأخذِ أَرادَ أنْ يقفَ معَ المضامينِ الأُخرى الَّتِي تُبرزُ مدى فظاعةِ الخُطُوبِ الَّتِي عاشها آلُ البيتِ ، وكذلكَ أنْ يقِفَ مع الادِّعاءات الَّتِي استقرَّتْ في وجدانِ المعارضينِ للفكرةِ العلويَّةِ الشِّيعيَّةِ ، وكانَ في هذه الوقفةِ كاشفاً عن عدمِ صدقِ هذه الأقاويلِ . وكنَّا نتمنَّى من مهيار وهَو يتناولُ المناقبَ العلويَّةَ بالحديثِ أنْ يقفُ وقفاتٍ طويلةً مع هذه المناقب ؛ فهي الأقدرُ على تحقيقِ ما كانَ يسعَى إليهِ ، كما جرَتْ بذلِكَ عادةُ الشُّعراء في كُلِّ العُصُورِ. وفي البيتينِ يذكرُ مهيارُ مَنقبَتينِ من مناقبِ آل البيتِ ، ويبدُو لنا ذلكَ في قَولهِ : "الرُّشد" ، و"الهُدَى" ، فقد عرفَ آلُ البيتِ الرُّشدَ ، وهدَوا النَّاسَ إليهِ ، ومن هُنا فلا عجبَ أنْ نرَى الشَّاعرَ مِهيارَ يبكِيهم؛ وكيفَ لا يبكيهم ؟ وهُمْ آل الرُّشد والهُدَى، كما أنَّهُمْ آلُ رسول اللَّهِ ـــ ﷺ ـــ الَّذِي أرسلَهُ ربُّهُ بالهُدَى ودِينِ الحقِّ ؛ ليُظهرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ ولو كَرِهَ المشركُون .....

وإذا كانَ مِهيار فيما تقدَّمَ قد نصَّ على بعضِ مناقبِ آل البيت بصفةٍ عامَّةٍ ، فإنَّهُ في قصائدَ كثيرةٍ يفصِّلُ القَولَ في ذكرِ هذه المناقبِ ، وقد كانَت هذه المناقبُ في غالبها مناقبَ للإمامِ عليٍّ ـــ كرَّمَ اللَّهُ وجههُ ـــ ، ومن شعرِ مِهيار الَّذِي يُؤكِّدُ علَى هذه الحقيقةِ قولهُ (١)" من المتقارب " :

بنفسِـــي نُجُـــومَهُمُ المُخمَـــدَاتِ ويـــأبَى الهَـــدَى غيـــرَ أنْ تُشـــعلا

(١) الديوان :(٣/٤٩) .

وأجسامَ نورٍ لهُمْ في الصَّعيـ ... ـدِ ، تملؤهُ فيضِيء المَلا

بطنِ الثَرَى حملُ ما لمْ تُطِقْ ... على ظهرِها الأرضُ أن تحملا

سلِ المُتحدِّي بِهِمْ في الفَخا ... رِ ، أينَ سمَتْ شُرُفاتُ العلا

بِمَنْ باهلَ اللّهُ أعداءَهُ ... فكانَ الرَّسُولُ بِهِمْ أبهلا

وهذا الكتابُ وإعجازُهُ ... على من وفي بيتِ مَنْ نَزَلا

وبدرٌ وبدرُ بهِ الدِّينُ تمـ ... ـمَ ، مَنْ كانَ فيهِ جميلَ البَلا

ومَنْ نامَ قومٌ سواه وقامَ ... ومنْ كانَ أفقهَ أو أعدَلا

بمَنْ فصلَ الحُكمُ يوم الحُنين ... فطبَّقَ في ذلكَ المفصِلا

وهذه الأبياتُ من قصيدة طويلةٍ في مدحِ آل البيتِ عليهِم السَّلامُ ، وفيها يقدِّمُ مِهيار كثيراً من مناقبِ آل البيتِ وبخاصَّةٍ مناقبُ الإمامِ عليٍّ ، فآل البيت نجومٌ ، لكنَّها أُخمدَتْ ، وهُو يشيرُ بذلكَ إلى الأوقاتِ الصَّعبَةِ الّتي عاشها آلُ البيتِ في ظِلِّ حكمِ الأُمويِّينَ والعبَّاسيِّينَ على السَّواءِ ، وكانَ بعدَ ذَلكَ التَّمكينُ لحينٍ ، وقد كانَ في النَّصِّ السَّابقِ ما يشيرُ إلى ذلكَ ، فقد قال مِهيار : " ويأبى الهُدَى أن تُشعلَا " ، وهذا القَولُ من مهيار فيهِ بيانٌ لقوَّةِ آل البيتِ من الناحيةِ النَّفسيَّةِ والمعنويَّةِ والتَّكوينيَّةِ ، فنراه يأتي بكلمة "يأبَى" ، وهذه الكلمةُ في المعجم القرآنيّ تُوحي بقوَّةِ ما تضافُ إليهِ ، وهي تُعطي من يقُومُ بهذا الفِعلِ الأملَ في الوصول إلى الغايةِ والطُّموحِ .. ، كما نراهُ يأتي بكلمةِ الهُدَى ، وهي تأتي كثيراً في المدائحِ النبويَّةِ ، وهي

تكشفُ عن مصدر الهُدَى ، فالهُدَى إلهامٌ سماويٌّ ، ومن اتَّصلَ بهِ وصلَ إلى الهُدَى ، والبيتُ الأوَّلُ يكشفُ عن كثرةِ النُّجومِ الهاديةِ من آل البيت، كما أنَّهُ يُوحي بكثرَةِ ما كانَ يتمتَّعُ بهِ آل البيت من مناقبَ ، فهذه المناقبُ كثيرةٌ لكثرَةِ ما يدلُّ عليها من النُّجومِ المخمداتِ ، ولا يقفُ مهيار في ذكر المناقبِ عند هذا الحدِّ ، ولكنَّهُ في الأبياتِ التَّاليةِ يُقدِّمُ لنا الكثيرَ من هذه المناقبِ ، سواءٌ أكانتْ هذه المناقبُ حسيَّةً أم معنويَّةً ، فهُمْ : " أجسام نورٍ لهُمْ في الصَّعيدِ تملؤه الملا " ببطن الثَّرى حملُ ما لم تُطِقْ على ظهرِها الأرضُ أن تحملا ، وهُمْ أجواد كرماءُ ، وفي ذلكَ يقُولُ مهيارُ : " تفيضُ فكانَتْ نَدى أبحرا " ، وهُمْ من سَمَتْ بهِمْ شُرُفاتُ العُلا " وفي ذلكَ يقول مهيار : " سل المتحدِّي بهِمْ في الفخارِ ، أين سمَتْ شرفاتُ العلا .." ، وهُم من نزل القرآنُ في بيتِ أُمِّهِمْ خديجة ، وفي ذلكَ يقُولُ مهيار : " وهذا الكتابُ وإعجازهُ علَى مَنْ وفي بيتِ من نزلا " ، كما يشير إلى مناقب آل البيتِ والإمامِ عليٍّ البطوليَّةِ في نُصرةِ هذا الدِّينِ الَّذِي تمَّ بفضلِ اللَّهِ وبفضلِ ما قام بهِ آلُ البيتِ والإمامُ من بطولاتٍ وصولاتٍ ، وفي هذا يقُولُ مهيار : " وبدرٌ ، وبدرُ الدِّين به الدِّينُ تمَّ، من كانَ فيهِ جميلَ البَلا ، ومن نام قومٌ سواهُ وقامَ ، وبمن فُصلَ الحُكمُ يوم الحُنَين" ...

ويستمرُّ مِهيار على هذا النَّهجِ في كثيرٍ من قصائده الَّتِي مدحَ فيها آلَ البيتِ وعليّاً ــ كرَّم الله وجه ــ ، أو نَعَى فيها الحسين ، أو مدحَ فيها المتَّشيِّعين لآل البيتِ من الأمراءِ البُويهِيِّينَ أو الوزراءِ ، أو الَّتِي كانَتْ تأتِي في رثاءِ المعاصرين من آل البيت ، وقَدْ رأينا ذلكَ في رثاءِ مِهيار للشَّريفِ الرَّضِيّ ، فقدْ أكثرَ وأجادَ مهيار في عدِّ هذه المناقبِ ، ونلاحظُ في حديثِ مهيار عن المناقبِ أنَّهُ كانَ يمزجُ في ذكرِ المناقبِ بين

مناقبِ آل البيتِ ومناقبِ الإمامِ عليٍّ ، وكأنَّهُ يريدُ أن يقولَ إنَّ عليّا من آل البيتِ ، وآلُ البيتِ هُمْ آلُ الرَّسُولِ ــ ﷺ ــ ، وما مدامَ الأمرُ كذلكَ ، فإنَّ أبناءَهُ هُم أحقُّ بالأمرِ من بعدِهِ..

ومن شعر مهيار الَّذِي قدَّمَ فيهِ تفصيلاً لمناقب آل البيتِ ، و قدْ ذكرَ في هذا التَّفصيلِ مناقبَ أخرى لآل البيت ، يقُول مهيار [1]" من الرجز " :

الطَّيِّبُـــونَ أزُراً تحـــتَ الـــدَّجَى الكـــائنونَ وزراً يـــومَ الوَجَـــل

والمنعمـــون والثَّـــرَى مُقطَـــبٌ مـــن جدبِـــهِ والعـــامُ غضـــبانُ أزِل

خيـــرُ مصـــلٍّ مَلَكـــاً وبشـــراً وحافيـــاً داسَ الثَّـــرَى ومنتعِـــل

هُـــمْ وأبُـــوهُمْ شـــرفاً وأمّهُـــمْ أكـــرمُ مـــن تحـــوِي السَّـــما وتُظِـــلّ

لا طلقـــــاءَ مـــــنعَّمٌ علـــــيهِمُ و لا يحـــارُون إذا النّاصـــرُ قـــلّ

يستشـعِرُونَ اللّه أعلَـى فـي الـورَى وغيـــرُهُمْ شـــعارهُ أعـــلُ هُبَـــل

لَـــمْ يتزخـــرفْ وثـــنٌ لعابـــدٍ مـــنهُمْ يُزيـــغَ قلبَـــهُ و لا يُضِـــلّ

ولا سَـــرَى عِـــرقُ الإمـــاءِ فـــيهمُ خبائِـــثٌ ليسَـــتْ مريئـــات الأكُـــلْ

يـــا راكبـــاً تحملُـــهُ عِيديَّـــةٌ مهويَّـــةَ الظَّهـــرِ بعضَّـــاتِ الرَّحَـــل

لـــيسَ لهـــا مـــن الوجـــا منتصـــرٌ إذا شـــكا غاربُهـــا حيـــفَ الإطِـــل

---

(١) الديوان : (١١١/٣) .

تشـــربُ خِمســـاً وتُجـــرُّ رِعيهـــا والمـــاءُ عـــدَّ والنبـــاتُ مكتهِـــل

عـــرِّجْ بروضـــاتِ الغَـــرِيِّ ســـائفاً أزكَـــى ثَـــرًى وواطئـــاً أعلَـــى محـــل

وأدِّ عنِّـــــي مبلَغـــــاً تحيَّتِـــــي خيـــرَ الوصـــيِّينِ أخـــا خيـــرِ الرُّســـل

فآلُ البيت أعفَّةٌ شرفاءُ أطهارٌ ، فهُمْ ذُريَّةُ إبراهيمَ ، وزرعُ إسماعيلَ ، وقد جاءَتْ هذه الذُّريَّةُ الطَّيِّبةُ من نكاحٍ ، ولم تعرِفْ السِّفاحَ ، وقد جاء هذا الخلقُ النَّبيلُ من أخلاقِ آل البيتِ في ثوبٍ جميلٍ وحُلَّةٍ زاهيةٍ مشرقةٍ ، فقد كانَ مهيار موفَّقاً في اختيارِ المفردات المصوِّرَة لهذا الخلقِ ، وكذلكَ كانَ موفَّقاً في اختيار التَّعبيرِ الفنِّيِّ الَّذِي جلَّى هذا الخلقَ أتَمَّ الجلاء وأكملَ التصويرِ ، ويظهرُ هذا في قولـه : " الطَّيِّبُون أُزُراً" ، فهذا هو شأنهُمْ وطبعُهُمْ ، أنَّهُمْ طيِّبُونَ ، وهم ثابتُونَ ومداومون على هذه المنقبةِ والسِّمة ، وقد كشف عن هذه المعاني الكثيرةِ صيغةُ الاسميِّةِ الَّتِي اكتستْ بها هذه الخصالُ ، وأمَّا ما كانَ يتَّصِفُ بهِ آلُ البيتِ من عفَّةٍ ، فقد كانَ الطَّريقُ إلى إثباتِ هذا المعنَى هو الكنايةُ اللَّطيفةُ والَّتِي جاءَتْ في القول السابق ، فقد كنَّى بطيبِ الأُزُرِ عن طيبِ شَرفِهِمْ وبياضِ عِرضِهِمْ ، وصفةُ العفَّةِ الَّتِي اتَّصفَ بها آلُ البيت صفَّةٌ مشهورةٌ فيهم في كُلِّ وقتٍ وزمانٍ ، وقد دلَّ على عمومِ هذه الصِّفةِ فيهمْ حرصُ الشَّاعرِ على صيغةِ الجمعِ في الكلمتينِ .....وكما اتَّصفَ آلُ البيتِ بالعفَّةِ والطَّهارةِ وطيبِ الأُزُرِ ، اتَّصفُوا كذلكَ بالشَّجاعةِ والنَّجدةِ وإغاثةِ الملهوفِ ، وأكثرُ ما كانَتْ تظهرُ هذه الخصلَةُ في أوقاتِ الوجلِ والخوفِ ، وقد رأينا كثيراً من البطولاتِ الَّتِي تؤكِّدُ على عُمقِ هذه المنقبةِ ورُسُوخها في آل البيتِ ، فقد كان الرَّسُولُ الكريمُ أشجعَ الشُّجعانِ ، رأينا منهُ ذلكَ في جهرهِ بأمرِ الدَّعوةِ ، فقد أمرهُ ربُّهُ أن يدعو

وينذرَ عشيرتَهُ الأقربين ، وقد كانُوا جميعاً على الكفرِ ، أرأيتَ مثلَ هذا الشَّجاعةِ النَّادرةِ ، أرأيتَ رجلاً يقفُ وحدَهَ أمامَ قومهِ ؛ ليدعوَهُمْ إلى عبادةِ الواحد القهَّارِ ، لا يخافُ قوَّتَهُمْ ولا سطوَتَهُمْ ،، رأينا ذلكَ منه صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم في مواقفَ كثيرةٍ ، كما رأينا هذا الخلقَ متأصِّلاً في آل البيتِ في الجاهليَّةِ والإسلامِ ، فهذا هو الإمامُ عليٌّ ينامُ في فراشِ الرَّسولِ النَّبيِّ في ليلةِ الهجرةِ ، وكانَ يعلمُ بخطر ما قامَ بهُ ، فهُو على يقينٍ أنَّ المشركينَ قادمُونَ لقتلِ النَّبيِّ ــ ﷺ ــ ، ويعلمُ يقيناً بأنَّهُ قد يكونُ هو المقتولَ ، ومعَ ذلكَ لمْ يخفْ من القيامِ بهذا العملِ الجليلِ الَّذِي كانَ سبيلاً من سبلِ نصرِ هذا الدِّينِ ،والمواقفُ كثيرةٌ ، وهي خيرُ شاهدٍ على صدقِ ما قالهُ الشَّاعرُ مهيار في اتِّصافِ آل البيتِ بالشَّجاعةِ، ويظهرُ ذلك في قولهِ : " الكائنون وزراً يوم الوَجَل " ، والجملةُ السَّابقةُ بما فيها من تركيز وتكثيفٍ تكشفُ عن عظيمِ هذا الخُلقِ في آل البيتِ الكرام، كما تكشفُ عن عمقِ هذا الخلقِ وكثرتِهِ وثباتهِ وظهورهِ عند الحاجةِ إليهِ ، وكلُّ هذا الإيحاءاتِ والإشاراتِ تأتي من صيغةِ اسم الفاعل في قوله : " الكائنون " فهذه الصِّيغةُ تصوِّرُ ما كانَ يتَّصفُ به آلُ البيتِ من قوَّةٍ ، وكانَتْ هذه الكلمةُ مجسِّمةً لهذه القوَّةِ ومُبرزةً لها ، فحرف الكاف الَّذِي جاء في اسم الفاعلِ يُوحي بهذه القوَّةِ المكتسبةِ من المواقفِ ومن الوعي التَّاريخيِّ لآل البيتِ بماضيهم، كما يمكنُ أن نفهمَ عمومَ هذه الصِّفةِ في آل البيت من الألف الزائدةِ في اسم الفاعلِ ، ومن واو الجمعِ ، وكذلك من الزِّيادة الَّتِي تفهم من معنَى اسم الفاعلِ .... ولا ينسَى مهيارُ أن يتكلَّمَ عن منقبةٍ مهمَّةٍ من مناقب آل البيتِ ، وقد كانَتْ هذه المنقبةُ من أخصِّ خصائصِ هذه الأسرةِ الشَّريفةِ والعريقةِ ، وكانَتْ دائما تعلنُ عن نفسها في هذه الأسرةِ ، وهذا أمرٌ رأيناهُ في هذه الأسرة

ومن هذه الأسرة في القديمِ والحديثِ ، وكيفَ لا يكونُ آلُ البيتِ ممَّنْ يحرصُ على هذه المكرمةِ ؟ وقد كانَ خيرُ من أنجبتْ هذه الأسرةُ خيرَ من تمثَّلَتْ فيهِ هذه الصِّفةُ، فقد كانَ رسولُنا من أندَى النَّاسِ و أسخَى النَّاسِ وأكرم النَّاسِ وأجودِ النَّاسِ ، وكذلك كانَتْ الأسرةُ الهاشميَّةُ وآل البيتِ ، وقد كانَ مهيارُ حريصاً على إبرازِ هذه الصِّفةِ ، رأينا ذلِكَ منه في كلِّ قصائدهِ الَّتِي تحدَّثَ فيها عن مناقبِ آل البيتِ الكريمِ ، وهذا الحديثُ من مهيار لم يكن حديثَ الخيال والأحلامِ ، بقدرِ ما كانَ حديثَ الواقعِ والحقيقةِ ، يقُول مهيار في هذه القصيدة والَّتي ذكرنا منها أبياتاً " " والمنعمون والثَّرَى مقطِّبٌ من جدبِهِ والعامُ غضبانُ أَزِل " ، فآل البيتِ مطعمون ومنعمون ، مطعمون في وقتٍ يقلُّ فيه الإطعامُ ، يُطعمون الطَّعامَ على حبِّهِ ، وهذا حالُ الجميع من آل البيت ، وهذا ما أراده الشَّاعرُ بقولهِ : " المنعمون " ، والإطعامُ والإنعامُ في الأوقاتِ محمودٌ ، لكنَّهُ في وقتِ الحاجةِ والشِّدَّةِ يكونُ أكثرَ حمداً وثناءً ، ولم يقف مهيار في ذكر المناقب في هذه القصيدةِ عند الحديثِ عن الطَّهارةِ والشَّجاعةِ والكرمِ ، ولكنَّهُ تحدَّثَ كثيراً عن كثيرٍ من المناقبِ الأخرى ، فقد تحدَّثَ عن صلاحِ هذه الأسرةِ وتقواها ، فهذه الأسرة كانَتْ من أوائلِ الأسر الَّتي استظلَّتْ بنور الإسلام ، ورفعَتْ شعارَ الإسلامِ عالياً ، فكان شعارُهُمْ اللَّه أكبر، وعن شرفِ هذه الأسرةِ وسبقِها وفضلِها يقول مهيار : " خير مصلٍّ ملَكاً وبشراً ، وحافياً داسَ الثَّرَى ومنتعلْ ، لا طلقاءَ منعم عليهم ، ولا يحارُون إذا النَّاصرُ قلّ ، يستشعرون اللَّهُ أعلَى في الورى، وغيرُهم شعارُهُ أُعلُ هُبل "، وهذا البيت يبدو غريبا بين الأبيات السَّابقةِ والَّتِي كانَتْ تقريراً لفضل آل البيت في السَّبقِ إلى الإسلامِ ، وهو قوله " من الرجز " :

خيـــرُ مصـــلٍّ ملكـــاً وبشـــرا وحافيـــــــاً داسَ الثَّـــــــرَى

فهذا البيت سبق بأبياتٍ تتكلمُ عن مناقبِ آل البيتِ ، وكذلِكَ الأبيات الَّتِي جاءَتْ بعد ذَلِكَ ، وقد جاءتْ الأبياتُ السَّابقةُ واللَّاحقةُ بصيغةِ الجمعِ ، وجاء هذا البيت بصيغة الإفراد ، فمن كانَ يقصدُ مهيار بهذا الخطاب ؟ هل كانَ يقصدُ عليَّاً ـ كرَّمَ اللَّهُ وجهه ـ؟ أم كانَ يقصدُ بهِ رسولَ الله ـ ﷺ ـ ؟ الأبيات كانَتْ في مدحِ الإمامِ عليٍّ ، وكان مهيار في مدحه للإمامِ يكثرُ من الحديثِ عن آل البيت ، وكانَ في حديثهِ عن مناقبِ آل البيتِ يكثرُ من الحديثِ عن مناقبِ الإمامِ عليٍّ ، وهذا البيت كما قلت هو البيت الوحيد الَّذِي جاء بصيغةِ الإفراد بين الأبياتِ ، وأشعرُ أنَّ البيتَ قد وُضِعَ بينَ الأبياتِ السَّابقَةِ ، فقد قال مهيار قبل هذا البيت : المنعمون ، وقال بعده : هم ، وفي هذا البيت يقول : خير مصلٍّ ، فإذا كانَ يقصدُ بهذا القول الرَّسُولَ ـ ﷺ ـ ، فقد كانَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ كذلك ، وإذا كان يقصد بذلكَ عليًّا ـكرَّم الله وجهه ـ، فقد جاوزَ الحدَّ في مدحهِ ، فإذا قلنا إنَّ ذلِكَ كانَ على سبيلِ المبالغةِ ، فنقُول حتَّى لو كانَ الأمرُ على سبيلِ المبالغة ، فإنَّ هذه المبالغةَ ليستْ مقبولةً ... فكيفَ يكونُ عليَّاً ـ كرَّمَ اللَّهُ وجهه ـ خيرَ مصلٍّ ؟ وكيفَ يكونَ خيرَ مَلَكٍ؟ وكيف يكونُ خيرَ من داسَ الثَّرَى ؟ وممّا يؤكِّدُ أنَّهُ كانَ يقصدُ بقولهِ الإمام قوله في القصيدةِ نفسها بعد ذلك :

عـرِّجْ بروضـاتِ الغَـرِيِّ سـائفاً أزكَـى ثـرًى وواطئـاً أعلَـى محـل

وأدِّ عنِّـــي مُبْلِغـــاً تحيَّتِـــي خيـرَ الوصـيِّينِ أخـا خيـرِ الرُّسـل

وإذا كانَ مهيار فيما سبقَ من شعرهِ يتحدَّثُ عن مناقب عليٍّ ـ كرَّمَ اللَّهُ وجههُ ـ بشيءٍ من التَّفصيلِ والإجمالِ ، فإنَّهُ في قصيدتهِ البائيَّةِ يتحدَّثُ عن مناقب الإمام بتفصيلٍ ، وهو في هذا التفصيل يذكرُ كثيراً من مناقب الإمام، فهو يقول [1](من الكامل) :

وأمَـــا وســـيِّدهِم علـــيٍّ قولـــةً ... تَشـجِي العـدوَّ وتُـبهجُ المتواليـا

لقـد ابتنَـى شـرفا لهُـمْ لـو رامـهُ ... زحـلٌ ببـاعٍ كـانَ عنـهُ عاليـا

وأفـــادَهُمْ رِقَّ الأنـــامِ بوقفـــةٍ ... فـي الـرَّوعِ بـاتَ بهـا عليهم واليـا

مـا اسـتدركَ الإنكـارَ مـنهمُ سـاخطَ ... إلّا وكـــان بهـــا هنالـــك راضـــيا

أضـحَوا أصـادقَهُ فلمَّـا سـادَهُمْ ... حسـدُوا فأمسَـوا نـادينَ أعاديـا

فـارحمْ عـدوَّكَ مـا أفـادك ظـاهراً ... نُصـحاً وعـالجَ فيـك خِـلّا خافيـا

وهـبِ الغـديرَ أبَـوا عليـه قَبولَـه ... نهياً ؟ فقُلْ : عُدَّوا سواهُ مساعيا

بـدراً وأحـدا أختهـا مـن بعـدها ... وحُنـينَ وقّـاراً بهِـنَّ فصـاليا

والصَّـخرةُ الصَّـمَّاءَ أخفَـى تحتهـا ... مـاءً وغيـرُ يديـهِ لـم يـكُ سـاقيا

وتـدبَّروا خبـرَ اليهـود بخيبـر ... وارضُوا بمرحبَ وهْو خصمٌ قاضيا

هل كـانَ ذاكَ الحصنُ يَرهَبُ هادماً ... أو كـانَ ذاكَ البـابُ يفـرقُ داجيـا

وتفكّـرُوا فـي أمـر عمـرو أوَّلا ... وتفكّـرُوا فـي أمـرِ عمـرو ثانيـا

---

(١) الديوان : (٤ / ٢٠٠) .

أسـدان كانـا مـن فـرائسِ سـيفهِ ولقلّمـا هابـا سـواهُ مـدانيا

ورجـالُ ضـبَّة عاقـدي حجُـزاتِهِمْ يـوم البُصيرة من معين تفانيا

ضُـغِمُوا بنـابٍ واحـدٍ ولطالمـا از درذُوا أراقـمَ قبلهـا وأفاعيـا

ولخطـبِ صِـفَينٍ أجـلُّ وعنـدك ال الخبـرُ اليقـينُ إذا سـألْتَ معاويـا

لـمْ يعتصِـمْ بـالمكرِ إلّا عالمـا أن لـيس إنْ صدقَ الكريهـةَ ناجيا

الأبياتُ ضمَّتْ بين جناحيها كثيراً من المناقب الَّتِي كوَّنَتْ شخصيَّةَ الإمامِ ، وحدَّدَتْ ملا مِحَها وفي الأبياتِ ما يُمكنُ قَبُولُهُ من المناقب ، وهناك مناقب من صنع خيال مهيار ، أو أنَّ مهيار سمعها من المتشيِّعين لآل البيت، فنحنُ مع ما ذكرهُ مهيار عن شرفِ الإمام ، وقد بنَى الإمامُ بذلكَ لآل البيتِ شرفاً لو رامهُ زُحلٌ بباعٍ لكانَ عنهُ عاليا . ومن المناقب الَّتي قامَت بتشيِّيدِ هذا المجد والشَّرفِ ما ذكرهُ الشَّاعرُ مهيار في هذه القصيدةِ من مواقف بطوليَّةٍ للإمامِ يعرفُها القاصِي والدَّاني ، ومن هذه المواقف ما قامَ بهِ الإمامُ من بطولاتٍ في يوم بدرٍ ، وقد جاءَ ذلكَ في كتبِ السِّيرةِ ، فقد جاءَ فيها أنَّ ثلاثةً من المشركينَ طلبُوا المبارزةَ من المسلمين ، وهُم : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فخرجَ ثلاثةٌ من الأنصار ، فقالُوا لا حاجةَ لنا بكم ، نريدُ أكفاءنا من قومنا ، ثمَّ نادَى مناديهم : يا محمَّد : أخرجْ إلينا أكفاءنا من قومنا ، فأخرجَ إليهم حمزةَ وعلياً وعُبيدةَ بن الحارث ، فلمَّا رأوهُمْ سألوهم عن أنفسهمْ ، ويبدو أنَّهم كانوا مقنَّعين بالسِّلاحِ فلم يعرفُوهم ، فعرَّفُوهم بأنفسهم ، فقالُوا أكفاءُ كرامٌ ، فبارزَ عبيدةُ عتبةَ ، وبارزَ حمزةُ شيبةَ ، وبارزَ عليٌّ الوليد ، فقتلَ حمزةُ

وعليٌّ صاحبهُ ، وأمَّا عبيدةُ وعتبةُ فاختلفا ضربتينِ كلاهما أصابَ صاحبَهُ ، فكرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافِهِما على عتبةَ فأجهزا عليهِ [1]..".

وذكرَ مهيار أيضاً من بطولاتِ الإمام بطولاته يوم أحد ، ففي يوم أحد يحملُ عليٌّ اللِّواءَ بعد مقتل مصعب بن عمير ، ويقتلُ الإمامُ طلحةَ بن أبي طلحة وهو يحملُ لواءَ قريشٍ ، والأخنسَ بن شريق .

ويذكرُ مهيار مواقفَ أُخرَى للإمامِ تكشفُ هذه المواقفُ عن شجاعته ، ومنها مواقفُه في يوم حنين وخيبر وصِفِّين، وقد تحدَّثَتْ كتبُ السِّيرةِ عن هذه المواقف بإفاضةٍ وبيانٍ [2]...

وكما سبقَ أنْ قلتُ إنَّ ما ذكرهُ مهيارُ من مناقب الإمام عليٍّ لا خلافَ في أكثرِهِ عند المنصفين والمحقِّقين ، ولكن ما يُمكنُ أن يكونَ محلاً للخلافِ ما ذكرهُ مهيار عن حقِّ الإمامِ عليٍّ وآل بيتهِ بالإمامةِ ـ سيكون هناك حديث مفصَّل عن ذلك في الجزء الخاصِّ بالإمامة ـ ....فقد ربطَ مهيار بين مواقف الإمام وبطولاته وبين حقِّ أبنائهِ في هذه الإمامة ، فهل يمكنُ أن يُقبلَ هذا ؟ هل يمكنُ أن تكونَ الأُمَّةُ رقيقاً كما قالَ مهيار؟ فقد جعلَ مهيار الشَّرف الذي بناهُ الإمامُ لأبنائهِ سبباً في رِقِّ الأُمَّةِ وحكمها ، ويظهرُ ذلك في قوله (من الكامل) :

لقد ابتنَى شرفاً لهُمْ لو رامهُ زُحلٌ بباع كانَ عنهُ عاليا

---

(١) خاتم المرسلين : محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربيّ ، (٢ / ٦٣٦) ..

(٢) دلائل النوة : البيهقي (ت : ٤٥٨ هـ) ، دار الكتب العلميَّة ، ودار الرَّيَّان ، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م) ، (٣ / ٢٣٨) ..

وأفـــادهُمْ رِقَّ الأنـــامِ بوقفـــةٍ فـي الـرَّوع بـاتَ بهـا علـيهم واليـا

هذا ما كانَ عن حديثِ مهيار عن مناقبِ آل البيتِ ، وقد ذكرَ مهيار في هذا الحديثِ كثيراً من مناقبِ آل البيتِ ، وهي مناقبُ حقيقيَّةٌ في أكثرها، وقد تحدَّثَ القرآنُ وكذلك السُّنَّةُ عن كثيرٍ من هذه المناقبِ ، وكما أنَّ كتبَ التَّاريخِ قد تحدَّثَتْ عن هذه المناقبِ بالتَّفصيلِ ، وقد تنوَّعَتْ هذه المناقبُ ما بين المناقبِ الحسيَّةِ والمعنويَّةِ ، وكانَ حديثُ مهيار عن المناقبِ المعنويَّةِ والنَّفسيَّةِ أكثرَ من حديثهِ عن المناقبِ الحسيَّةِ والخلقيَّةِ ، وهذا أمرٌ دعا إليهِ النُّقادُ في قصائد المدحِ والثَّناءِ ، ومّمَّا يُؤخذُ على مهيار في حديثهِ عن مناقب آل البيتِ أنَّ مهيار لم يتحدَّثْ بشيءٍ من التَّفصيلِ إلَّا عن مناقبِ الإمامِ عليٍّ ، وكما سبقَ أنْ قلتُ إنَّ حديثهَ عن مناقبِ آل البيتِ كانَ في غالبهِ حديثٌ عن مناقبِ الإمامِ عليٍّ ، إذاً فمهيار لم يتحدَّث بالتَّفصيلِ عن مناقبِ كثيرٍ من الشخصيات المشهورةِ من شخصيات آل البيت ، فهُو لم يتحدَّثْ عن مناقبِ النَّبيِّ ــ ﷺ ــ كما هو الحالُ عند شعراء المديحِ النَّبويِّ ، كذلك لم يتحدَّث عن مناقبِ الحسن والحسينِ ، ولم يتحدَّثْ كذلكَ عن مناقب آل البيت المعاصرين لهُ إلَّا ما كانَ من حديثهِ عن مناقبِ الشَّريفِ الرَّضِيّ في قصيدتين رثاهُ بهما .

ثانيا ـ المثالب(١):

تحدَّثَ مهيار عن مناقب آل البيت الكرام وقد أكثر من الحديثِ عن هذه المناقبِ ، وهو بذلك يؤكِّدُ على ما قالهُ القرآن والسُّنَّةُ والصَّحابةُ الأجلاءُ في هذا الشَّأنِ ، وكانَ قصده من ذلك الحديثِ بيانَ فضلِ آل البيتِ وبيانَ حقِّهِمْ في الخلافةِ ، وقد ساقه ذلك إلى الحديث عن المعارضينِ للفكرةِ العلويَّةِ ، وقد تعدَّدَتْ هذه المعارضةُ ـــ كما يرى مهيار ـــ فهناك الخلفاءُ الرَّاشدون ، وهناكَ الأمويُّون ، وهناكَ الخوارج ،وقد تحدَّثَ مهيار

---

(١) المثالب : مفردا مثلبة أو مثلُبة : وهي ذكر عيوب الآخرين ، وفي الغالب يكونُ ذلكَ باللِّسان . ينظر : اللسان : (١ / ٢٤١) ...

في شعرهِ عن الخلفاءِ الرَّاشدينِ والأمويِّينَ ، وكان في حديثهِ هذا بعيدٌ عن الصَّوابِ وجادَّةِ الطَّريقِ ، فقد تحدَّثَ عن هؤلاءِ بما لا يليقُ بهمْ ، فقد وصفهمْ بأوصافٍ لم تكن فيهمْ ، فقد وصفهُم بالحقدِ والخيانةِ والنِّفاقِ والخبثِ وخلعِ الأمانةِ ولبسِ العار...ونحنُ لا نتَّفقُ مع مهيار فيما قالهُ عن هؤلاءِ الصَّحبِ الكرامِ وبخاصَّةٍ الخلفاءُ الراشدون والأُمويُّونَ ، فقد صحبَ هؤلاءِ رسولَ اللَّهِ - ﷺ - وتحمَّلُوا معه أمر هذا الدِّين ، وجاهدُوا في اللَّهِ حقَّ جهادهِ ، وضحَوا في سبيلِ اللَّهِ بالمالِ والولدِ والنَّفسِ والوطنِ ، لقدْ زكَّى اللَّهُ صحابةَ رسول اللَّهُ في كتابهِ الكريمِ ، فإنَّ كثير من آيات هذا الكتابِ تذكرُ فضلِهِمْ وشرفِهِمْ ، فقدْ كانُوا في أخلاقِهِمْ وسموهمْ قرآناً يمشِي على الأرضِ ، لقد كانَ الصَّحابةُ الكرامُ الصَّورةَ البشريَّةَ للقرآنِ ، وعندما نقرأ القرآن نجدُ فيضاً من الآياتِ الَّتِي أشادَتْ بهؤلاءِ الكرامِ ، ومن هذه الآيات قوله تعالَى : " وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (١)، وقوله :" مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ

---

(١) التَّوبة : (١٠٠ ، ١٠١) .

فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا "[1] .....وكما تحدَّثَ القرآنُ الكريمُ عن فضلِ الصَّحابةِ الأولين السابقينِ الَّذِين رضِي اللَّهُ عنهُمْ ورضُوا عنهُ ، تحدَّثتْ السُّنَّةُ المطهَّرةُ عن هذا الفضلِ والشَّرفِ ، وقد رأينا أصحابَ الكتبِ السِّتةِ وغيرَهم يُفردُونَ باباً في كتبهِمْ يذكرُونَ فيهِ فضلَ الصَّحابةِ الكرامِ ، وقد أطلقُوا على هذا البابِ " فضائل الصَّحابة" ، فتحدَّثُوا عن فضلِ أبي بكرٍ وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهمْ ، وممَّا جاءَ في بيانِ فضلِ الصَّحابةِ والنَّهي عن سبِّهِمْ ، ما قالهُ - ﷺ - : " لا تسبوا أصحابي؛ فو الذي نفسي بيده؛ لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه[2]". وكلُّ ما سبق يدفعُ ما قالهُ مهيار في سبِّ الصَّحابةِ ، ولا يعنِي هذا أنَّ الصَّحابةَ الأجلاءَ ليسَ لهُمْ أخطاء أو أنَّهُمْ معصومون من الذُّنوبِ ، فهذا ما لا يمكنُ القولُ بهِ ، فهمْ بشرٌ ، ويمكنُ أن تقعَ المعصيةُ منهُمْ ، واللَّهُ سبحانَهُ قد وعدَهُم كما وعدَ غيرَهُمْ أن يغفِّرَ لهُمْ ما وقعَ منهُمْ على سبيلِ الخطأ والنِّسيانِ ؛ وذلكِ لإيمانهِمْ وسبقِهِمْ إلى الإيمانِ والأعمالِ الصَّالحةِ الَّتِي لمْ تحصلْ لغيرهِمْ ، ولذلكَ ينبغِي تركُ الخوضِ فيما وقعَ فيه هؤلاءِ الصَّحابة ، وينبغِي أيضا ترك الطَّعن فيهمْ ..[3]....

---

(١) الفتح : (٢٩) ..

(٢) موسوعة الألباني في العقيدة ، (ط : الأولى) ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلاميَّة ، (١٤٣١ هـ ـــ ٢٠١٠ م) ، (٢ / ٥٥٢) ....

(٣) كتاب فضائل الصَّحابة : أحمد حنبل ، حقَّقه : وصي اللَّه بن محمَّد عبَّاس ، (٤٠٣هـ ـــــ ١٩٨٣م) ، (١٠) ،

وقد وقعَ مهيار في هذا الأمرِ ، فرأيناهُ في شعرهِ يصفُ الصَّحابةَ بما ليس فيهم وبما لم يحدثْ منهم ؛ وكانَ ذلك بسببِ البيعةِ لأبي بكرٍ ، ثمَّ بسببِ بيعةِ أبي بكر لعمر، وكذلك بسببِ جعل عمر الأمر في الصَّحابةِ الَّذين توفَّى الرَّسُولُ وهُو عنهُمْ راضٍ ، وكأنَّه قد أرادَ أنْ تكونَ الخلافة للإمام عليٍّ ، لكن كيفَ يكونُ ذلكَ والصِّدِّيقُ كانَ حيَّاً ،وعمرُ وعثمانُ وغيرُهم مِن جِلَّةِ الصَّحابةِ .....

ومن شعر مهيار الَّذِي وصفَ فيهِ الصَّحابة بالحقدِ وبغيرهِ من المثالب ِما جاءَ في قصيدتِهِ الكافيَّةِ المكسورةِ والَّتِي يقُول فيها[1] (من الرَّمل) :

كـــلّ يـــومٍ حـــادثٌ ينـــ ... كـــأ ، قَرفِـــي بالحِكـــاكِ[2]

أنتحِـــي أعـــزلَ فيـــه ... وســـلاحُ الـــدَّهرِ شَـــاكِي[3]

كـــمْ عركْـــتُ الصَّـــبرَ حـــت ... تـــى، جـــاءَ مـــا فـــلَّ عِراكِـــي[4]

وتســـــتَّرْتُ ورزءُ الـــــ ... فـــــاطميِّينَ ، انتهـــــاكِي[5]

خمـــــدَ الجمـــــرُ ووجـــــدِي ... ببنـــــي الزّهـــــراء ذاكـــــي

ملصـــــقٌ بـــــالأرضِ جســـــماً ... نفسُـــــه فـــــوقَ السُّـــــكاكِ[1]

---

(١) الديوان : (٢ / ٣٦٩)

(٢) ينكأُ قَرفي : أزالَ القشرة الَّتِي تعلُو الجُرح ...والحِكاك : مصدر بمعنى الحكِّ .ينظر : اللسان : (١ / ١٧٣) .

(٣) فلانٌ شاكُّ السِّلاح ، مأخوذ من الشّكةِ ، أي تام السِّلاح ، والشَّائك : ذو الشَّوكة والحدَّة في سلاحه ...ينظر : تهذيب اللغة : للأزهريّ ، تحقيق : محمد عوض ، دار صادر بيروت ، (٩ / ٣١٦) ...

(٤) فلَّ عراكي : هدَّ قوتِي وصبرِي ...

(٥) الرزءُ : العظيم من المصائب . ينظر اللسان : (٧ / ٣٨٣) .....

مفـــــردٌ ترميـــــهِ قـــــوسُ ال بغـــي، عـــن قـــوسِ اشـــتراكِ
أظهـــــرَتْ فرقـــــةَ بـــــدرٍ فيـــــه أضـــــغان النّـــــواكي(٢)
كـــلّ ذاكـــي الحقـــدِ أو يخـــ ضِـــبُ أعـــرافَ المـــذاكي(٣)
وغريـــــبُ الـــــدَّار يلفَـــــى مـــــوطن الطَعـــــنِ الـــــدِّراكِ(٤)
طـــــاهرٌ يُخطـــــفُ بالأيـــــ دي الخبيثـــــاتِ السِّـــــهاكِ(٥)
يخـــــرسُ المـــــوتُ إذا سمـــــ متـــــه أفـــــواهُ البـــــواكي

إلـى آخـر مـا جـاء فـي القصـيدةِ مـن مثالـب ومطـاعن فـي حـقِّ المعارضـين للحكـمِ العلـويِّ ، ومهيـار فـي هـذه القصـيدةِ يقـدِّمُ صـورتين متعارضتين ، الأولى مشرقة في حقِّ آل البيت وبخاصَّة عليٍّ والحسينُ ، والأُخرَى مشرقة لكنَّ مهيار رآها بعينـه الحزبيَّةِ المتعصِّبةِ ، وفي هذه الأبيات نرَى ذلِكَ التَّناقضَ عندما تحدَّثَ عن الإمام الحسين والمعارضين لـه من الأمويِّينَ ، فالحسينُ يقول عنهُ مهيار : " ببني الزَّهراء ذاكي ، ملصقٌ بالأرضِ جسماً ، نفسه فوق السُّكاكِ ، طاهرٌ يخطفُ بالأيدي ، ونراهُ في وصفهِ للحسينِ يحرصُ على اسم الفاعلِ ، وهو يساهمُ ويساعدُ كثيرً في رسم صورةِ الحسين ، فالحسينُ من أبناء فاطمة ، وفاطمة بنت الرَّسُول ، ومن كانَ كذلكَ فهُو طاهرُ شريفٌ ، وكيف لا يكونُ الحسينُ كذلك وجدُّه الرَّسُولُ الشَّريف في نفسهِ ونسبهِ ؟ وهذا الشَّرفُ وكرمُ النَّسبِ موصولٌ في

---

(١) السُّكاك : الهواء الملاقِي عنان السَّماء ...
(٢) النَّواكِي : الجهَّال العاجزون ...
(٣) المذاكي : الخيل .
(٤)الدِّراك : المتتابع ..
(٥)السِّهاك : ذرات الرَّائحة الكريهة...

الذُريَّـةِ إلـى أن يـرثَ اللهُ الأرضَ ومـن عليهـا ، وهـذا مـا جعل مهيـار يـأتي بصيغتينِ من صيغِ اسم الفاعلِ الأولى ذاكي والأخرى طاهر ،، وعندما يتحدَّثُ مهيـار عن المعارضين من الأمـويِّين يقـول : " مفردٌ ترميـهِ كفُّ البغي ، أظهرتْ فرقةُ بدرٍ أضغانَ النَّواكي، كلُّ ذَاكي الحقدِ ، طاهرٌ يخطفُ بالأيـدي الخبيثـاتِ السِّـهاكِ ، كـم تقشَـرُ بـالظُّلمِ عصـاكِ " ، ومهيـار فـي الأوصـافِ السَّـابقةِ لا يتحـدَّثُ عـن الأمـويِّينَ الَّـذِينَ كـانوا سـبباً فـي مأسـاة الحسـين المرِّوعـةِ والَّتِـي تفـرَّقَ صـداها فـي وجـدانِ الإنسـانيَّةِ فـي كـلِّ العصورِ، ورأينا أثر هذا التَّمزُّق الحسينيّ في الشِّعرِ العربيّ ما يُبكي العيون بالدِّماءِ ، إنَّما يتحدَّثُ ويصفُ بـأقبحِ الأوصـافِ كلَّ من رآه معارضاً للفكرةِ العلويَّةِ أو معارضاً لحكمِ آل البيتِ بعد وفاةِ الرَّسُولِ ـــــ صلَّى الله عليه وسلَّم ـــــ ، ولو جعل مهيار نقدَه وسهامه إلى الأمويِّين ، لكنَّا التمسنا لـه بعضَ العذر فـي الحـزنِ والغضـبِ لا فـي السـبِّ والشـتم ، ولكنَّـهُ يقُـولُ فـي الجميعِ ما لا يليقُ ،يقول في أهلِ بدرٍ ما لا يقبلُ ، أهل بدر الَّذِين قـال لهُم اعملوا ما شئتم فإنِّي قد غفرْتُ لكمْ ، ولماذا جاءَ مهيار بأهل بدرٍ في سياقِ الحديثِ عن الحسينِ ومقتلـهِ ؟ إنَّـهُ لا ينسَى فـي حديثـهِ عن الحسين أمرَ الخلافـةِ والإمامـةِ ،، وكيـفَ ينسَى الخلافـةَ ؟ والخلافـةُ هـي الَّتِـي خـرجَ من أجلها الحسين، إنَّ مهيار يحمِّلُ كلَّ من شاركَ في مبايعة الصِّدِّيقِ وغيره من الخلفاءِ المسئوليةَ عن مقتلِ الحسينِ ، فهُو يرى أنَّ الصَّحابةَ ومنهُمْ آل بدرٍ لـو بـايَعُوا عليَّـاً ، مـا حدثَ للحسينِ مـا حدثَ ، وكـأنِّي بمهيـار ينـادي بميراثٍ لآل البيتِ فـي الخلافـةِ ، وهذا مـا لـم يقلْ بـهِ الرَّسُولُ ،ونصوصُ الإسلامِ .. وما يهمنا الآن هو مـا قالـه مهيـار عن المعارضين من الأمـويِّينِ وغيرِهم ، لقد وصف مهيـار المعارضين بـالبغي والحقدِ والخبثِ والجنون،

لقد كانَ الصَّحابةُ أصفى أهل الأرضِ قلوباً ؛ ولذلك اختارهُمْ الله لصحبةِ الرَّسُولِ المصطفى ...لم نرَ من الصَّحابةِ حقداً ، رأينا حبَّاً وإيثاراً ، أين الحقدُ عندما يبايعُ عمر أبا عبيدة ، لكنَّ أبا عبيدة الَّذِي تعلَّمَ الحبَّ والإيثار من رسولهِ الكريم ، يقول لعمر: كيف ذلكَ وفينا الصِّدِّيقُ ؟ أين الحقد عندما يعهدُ أبو بكرٍ بالخلافةِ إلى عمرَ ؟ لو عرف أبو بكرٍ الحقدَ لجعلها في أبنائهِ وكانَ منهُمْ من له سبقُ الشَّرفِ إلى الإسلامِ ، هل يمكنُ أن ينسَى ما قام بهِ عبد اللَّهُ بن أبي بكرٍ في رحلةِ الهجرةِ ...كانَ ينبغِي لمهيار أن ينأى بنفسهِ ولسانهِ عن ذكرِ هذه المطاعنِ الَّتِي كانَتْ بعيدةً عن الحقيقةِ والواقعِ ...

ويظلُّ مهيار في هذا الطَّريقِ في كثيرٍ من قصائدهِ ، من هذه القصائدِ قصيدتُهُ الفائيَّةُ وفيها يقُول[1] (من الطويل) :

أخصُّك بالتَّفضيلِ إلّا لعلمه ... بعجزهُمُ عن بعضِ تلك المواقفِ

نَوَى الغَدرَ أقوامٌ فخانُوكَ بعدَهُ ... وما آنِفٌ في الغَدرِ إلّا كسالفِ

وهَبهُمْ سَفاهاً صحَّحُوا فيك قولهُ ... فهلْ دفعُوا ما عندَهُ في المصاحفِ

سلامٌ على الإسلامِ بعدَكَ إنّهُمْ ... يسومونهُ بالجورِ خُطّةَ خاسفِ

ويقُولُ[2] في قصيدةٍ أخرَى (من المتقارب) :

---

(١) الديوان : (٢ / ٣١٦) ....

(٢) الديوان : (٢ / ٢٦٣) ....

هُـو الغُصـنُ كـانَ كمينـاً فهـبَّ لـــدَى كـــربلاءَ بـــريحٍ عصـــوف

قتيـلٌ بـــهِ ثـــارَ غـــلُّ النّفَـــوسِ كمـــا نغـــرَ الجـــرحَ حـــكَّ القُـــرُوفِ

فطَـــارُوا لـــه حـــاملين النِّفـــاقَ بأجنحـــةٍ غِشَّـــها فـــي الحفيـــفِ

والمثالبُ الَّتِي وصمَ بها مهيار المعارضين في المقطوعتين ظاهرةٌ ، ففي المقطوعةِ الثَّانية والَّتِي يتحدَّثُ فيها عن مناقبِ الحسين والَّتِي ذكر منها أنَّهُ كانَ في غُصنِ الشَّبابِ ونضارتِهِ عندما جادَ بنفسهِ من أجلِ الخلافةِ ، وحتَّى نكونَ منصفينَ ، كانَ الحسينُ ثائراً من أجلِ المبدأ لا من أجلِ المنصبِ ، فقد كانَت هناكَ عقودٌ ، لكنَّ القومَ لم يفوا بهذه العقود ، لكنَّ هذا الغصنَ النَّاضِرَ قد عصفَتْ بهِ ريحٌ عصوفٌ، وقد جاء مهيار بصوريتين جميلتين كشفَتْ الأولى عن فتوةِ الحسينِ وشبابهِ ، وتظهرُ هذه الصُّورةُ في قولهِ : " هُو الغصن كانَ كميناً " ، وتأتي الصُّورةُ الأُخرَى لتكشفَ عن القوَّةِ الكبيرةِ الَّتِي التقَى بها الحسين، وقد جاءَتْ هذه الصُّورةُ في قولهِ : بريحٍ عصوفٍ " ،ولعلَّ القسوةَ الَّتِي قُوبلَ بها الحسينُ من معارضيهِ هي الَّتِي جعلَتْ مهيارَ يتعاملُ بهذه الطريقةِ الخشنةِ والقاسيةِ مع هؤلاءِ ، ومن المثالبِ الَّتِي جاءَتْ هنا ؛ لتكشفَ عن سوءِ ما قامَ بهِ هؤلاءِ المعارضون قوله : غلّ النُّفُوسِ ، فطارُوا إليهِ حاملين النِّفاق ...." ...

وتكرَّرُ المثالبُ السَّابقةُ كثيراً في شعر مهيار ، فقد تحدَّثَ مهيارُ كثيراً عن النِّفاقِ ووصف به المعارضين والخاذلينَ للحسينِ ، ومن ذلكَ ما جاءَ في اللَّاميَّةِ السَّاكنةِ قولهُ[1] (الرجز) :

وما لقَومٍ نافقُوا محمَّدا عُمرَ الحياةِ وبغَوا فيهِ الغِيَل

وتابعُوه بقلوبٍ نزلَ الْ فرقانُ فيها ناطقاً ما نزل

ماتَ فلمْ تَنعَقْ على صاحبِه ناعقةٌ ولمْ يُرغِ جمل

و لا شكا القائِمُ في مكانِهِ منهُمْ ولا عنّفَهُمْ ولا عذَل

فهلْ تُرَى ماتَ النِّفاق معهُ أم خلصَتْ أديانُهُمْ لمَّا نُقل

لا والّذِي أيَّدَهُ بوحيهِ وشدَّهُ منك بركنٍ لمْ يزَلْ

ما ذاكَ إلّا أنَّ نيَّاتِهُمُ في الكفرِ كانَتْ تلتَوِي وتعتدِل

وأنَّ وُدّاً بينَهُ دلَّ على صفائِهِ رضَاهُمُ بما فعلْ

وهبْهُمُ تخرَّصاً قد ادَّعَوا أنَّ النِّفاقَ كانَ فيهِمْ وبطل

فما لهُمْ عادُوا وقَدْ ولَتَهُم فذكرُوا تلكَ الحزازاتِ الأُول

وبايعُوكَ عن خداعٍ ، كلّهُم باسطَ كفٍّ تحتها قلبٌ نَغل

---

(١) الديوان : (٣ / ١١٣) ...

والأبياتُ فيها تفصيلٌ للنِّفاقِ الَّذِي اتَّهَمَ بهِ مهيار بعض المعارضين لمذهبهِ ، وقد جاءَتْ كلمةُ النِّفاقِ في الأبياتِ السَّابقةِ كثيراً ،وهذا يؤكِّدُ على إيمانهِ الجازمِ في اتِّصافِ هؤلاءِ المعارضين بهذه الصِّفةِ ، فهُو يقُولُ : " وما لقومٍ نافقُوا محمَّداً ، فهلْ تُرَى ماتَ النِّفاقُ معهُ ، أنَّ النِّفاقَ كانَ فيهِم وبَطلْ " ، ومِمَّا يؤكِّدُ على اتِّصافِ هؤلاءِ المعارضين بما وصفهُمْ ، أنَّهُ جاءَ بلفظِ النِّفاقِ في صورتينِ ، الأولى في صورة اسم الفاعلِ ، والأخرَى مؤكَّدةٌ بأنَّ ، ولا شكَّ أنَّ في الصُّورتين ما يؤكِّدُ على هذا الظَّنِّ ، وفي الأبيات لا يقفُ مهيار عند وصفِ المعارضينِ بالنِّفاقِ ، ولكنَّهُ يُجاوزُ هذه المثلَبةَ إلى مثلَبةٍ هي أشدُّ وأنكَى ، فرأيناهُ يصفُ نيَّاتِهم بالكفرِ ،فيقول : " إلَّا أنَّ نيَّاتِهم في الكفرِ كانَتْ تلوي وتعتَدِلْ " ، كما أنَّهُ يصفُهُمْ بالخداعِ ، فيقول : " وبايُعوكَ عن خداعٍ " .....

ويقُولُ مهيار في وصفِ معاويةَ وابنهِ بالخبثِ في نفسِ القصيدةِ فيقول[1] (من الرجز) :

وما الخبيثانِ ابنُ هندٍ وابنُهُ وإنْ طَغَى خطبُهُما بعدُ وجلّ

بمُبدِعينِ في الّذِي جاءَا بهِ وإنّما تقفيا تِلكَ السُّبُلْ

وبعد أن عرضنا للمثالب الَّتِي جاءَتْ في شعرِ مِهيار ، نقُولُ إنَّنا لسنا معهُ في كُلِّ ما ذكرِ من مثالب ، فلم يكُنْ الصَّحابةُ الكرامُ بهذه الأخلاقِ ، فكيفَ يمكنُ أنْ يكونَ من الصَّحابَةِ من هُو حاقدٌ أو خائنٌ أو خبيثٌ أو منافقٌ أو خداعٌ ....لقد كانَ الصَّحابةُ أشرفَ وأعظمَ من عرفَتْ البشريَّةُ في تاريخها القديمِ

---

(١) الديوان : (٣ / ١١٥) ....

والمعاصرِ ، فمثلُ هؤلاء لم تُنجبْ الدُّنيا ، لقد كانَ هؤلاءِ على علمٍ ودرايةٍ بمقتضَى الإيمانِ ، وما تحرَّكوا حركةً إلَّا وكانُوا مبتغينَ بها وجه اللَّهِ ....لقَدْ اجتهدَ الصَّحابةُ في كُلِّ أمورِهِمْ ، فكانُوا في جانبِ الحقِّ في كثيرٍ من شؤونهم ، وقد جانبُوا الصَّوابَ في بعضِ الأوقاتِ لا عن قصدٍ ، ولكنْ عن اجتهادٍ ،،،وكنَّا نتمنَّى من مهيار بعد هذه القرونِ الطويلةِ ألَّا يحرك لسانه في هذا الماضِي ؛ حتَّى لا يشعل فتنةً قد تأتي على كُلِّ شيءٍ .. ومع ذلكَ كانَ شعرُ مهيار في هذا الاتِّجاهِ أقلَّ ممَّا ذكرهُ غيرُهُ من الشُّعراءِ، ولذلك لم يهجرْ النَّاسُ شعرهُ كما هجروا شعر السيِّد الحميريّ .[1]...

ثالثا ـ الإمامة :

في هذا العصر اشتدَّ الصِّراعُ المذهبيُّ بين السُّنَّةِ والشِّيعةِ ، وقَد كانَ صوتُ التَّشيُّعِ في هذا العصرِ عالياً ، فقد أصبحَ للتَّشيُّعِ دولٌ كثيرةٌ ترفعُ

(١) أثر التَّشيُّع في الأدب العربيّ : (٩٢) .....

لـواءهُ ، فقد صـار الأمرُ فـي العراقِ بيد البُويَهيِّين وهُمْ فرسٌ وفـي نفسِ الوقـتِ مـن أشـدِّ النـاسِ حُبَّـاً لآل البيـتِ ، كمـا أصـبحَتْ مصـر فـي أيـدي الفاطميِّين ، وهم شيعةٌ مع الاختلافِ فـي نسبهِمْ ، وكلُّ هذا قدْ جعلَ صوتَ التَّشيُّعِ مسموعاً ....وقدْ رأينـا النَّـاسَ فـي هذا العصرِ يُعلنـون عن تشيُّعهم دون خوفٍ وبخاصَّةٍ الشُّعراءُ ، ومـن هؤلاءِ الشُّعراءِ مهيـار ، وقد تحدَّثنا فيما سبقَ عن شعرهِ الَّذِي كانَ كاشفاً عن مذهبـهِ الحزبـيّ الدِّينـيّ ، وقد بدا مهيار في هذا الشِّعرِ محبَّاً لآل البيتِ وناقماً على غيرِهِمْ وبخاصَّـةٍ على من أخذَ حقَّ العلويِّينَ وآلَ البيتِ في الإمامة ، وكانَ حديثُ مهيـار عن مناقب آل البيت ومثالـب الآخـرين يؤكِّـدُ على الحقِّ الشِّـيعيِّ فـي الإمامـةِ ، وقد اتخذَ مهيـار فـي سـبيلِ إثبـاتِ هذا الحـقِّ طريـقَ الجدالِ " فقد كانَـتْ المنـاظراتُ الكلاميَّةُ قائمةً على قدمٍ وساقٍ بين السُّنَّةِ والشِّيعةِ وغير ذلك من المذاهب الأُخـرَى ، ولابُـدَّ لهـذه المنـاظرات مـن ثـروةٍ فكريَّـةٍ جبَّـارَةٍ ؛ كـي يسـتطيعَ المجادلُ قرعَ خصمهِ بالحُجَّةِ الدَّامغةِ ، وعلى هذا فإنَّنا نَرَى مهيـار قد وَعَى التَّاريخَ في صدرهِ ، وقد اختصَّ بذاكرةٍ غريبةٍ ، فكانَ يحفظُ الأخبـارَ طريفَهـا وتالِدَها ، ويردِّدُها في شعرهِ ، وعلى هذا إذا نظرتَ إلـى طريقتِـهِ فـي إظهـارِ حقِّ عليٍّ بالخلافةِ ، فإنَّنا نراهُ يذهبُ إلـى التَّـاريخِ الإسلاميّ مستسقيَّاً منـه ذكرَ المعـاركِ الَّتِـي خاضـها على سـبيلِ توطيـدِ أركـانِ الدِّين ، والمـآثر الَّتِـي اخُتصَّ بهـا دونَ سـواهُ مـن بـين سـائرِ الصَّـحابةِ...[1].." ...وقَدْ رأينـا هذا الاستدعاء التَّاريخيَّ في شعرِ مهيار يأتِي بكثرَةٍ كما سبقَ أن أشرنا ، وكـان الَّذِي ساقهُ إلى ذلكَ هو مذهبهُ في إثبات الحقِّ الشِّيعيِّ في الإمامـةِ ، فمهيـار

(١) مهيار الدَّيلميّ : محمَّد على موسى ، (٥٢) .

يرَى كما يرَى الشِّيعةُ الإماميَّةُ أنَّ الإمامةَ حقٌّ للإمامِ عليٍّ ولأبنائهِ من بعدهِ ، فالإمامةُ عند الشِّيعةِ الإماميَّةِ ركنٌ من أركانِ الدِّينِ ، " فهُمْ يعتقدونَ أنَّ الإمامةَ منصبٌ إلهيّ كالنُّبُوَّةِ والرِّسالةِ ، فكما أنَّ اللَّهَ يختارُ من يشاءُ من عباده للنُّبوَّةِ والرِّسالةِ ، فإنَّهُ كذلكَ يختارُ من يشاءُ للإمامةِ ، ويأمرُ نبيَّهُ بالنَّصِ عليهِ ، وأن يُنصِّبَهُ إماماً للنَّاسِ من بعده ؛ للقيامِ بالوظائفِ الَّتي كانَ على النَّبيِّ أن يقومَ بهَا سِوَى أنَّ الإمامَ لا يُوحَى إليهِ ....[1]" . كما يعتقدون " أنَّ الإمامةَ تسلسلُ في اثني عشر إماماً ، وكلُّ إمامٍ سابقٍ لابُدَّ أنْ ينصَّ على الإمامِ اللَّاحقِ ، وهُمْ يرَونَ أنَّ الإمامَ معصومٌ كالنَّبيّ ، لكنَّ الإمامَ دونَ منزلةِ النَّبيّ وفوق البشرِ ..[2]." ...

وقد ظهرَ هذا الاعتقادُ الجازمُ من مهيار في شعرهِ ، فرأيناهُ في هذا الشِّعرِ مدافعاً عن حقِّ العلويِّينَ في الإمامةِ ، وكانَ يسُوقُ في دفاعهِ هذا كثيراً من الحججِ الَّتي يقُولُ بها الشِّيعةُ الإماميَّةُ ، فعليٌّ هو الوصيُّ ، وعليٌّ هو الإمامُ الَّذِي نصَّ النَّبيُّ على إمامتهِ ، ومن هنا كانَت ثائرةُ مهيار ، كيفَ يكونُ عليٌّ هو الوصيُّ ثُمّ تؤخذُ منهُ الإمامةُ ؟ . وقبل أنْ نتحدَّثَ عن البراهين الَّتي ساقها مهيارُ لإثباتِ حقِّ آل البيتِ والشِّيعةِ في الإمامةِ، نذكرَ رأيهُ في الأحداثِ الَّتي إلى أدَّتْ إلى اختيارِ الصِّدِّيقِ خليفةً ، ففي كثيرٍ من قصائدهِ يتحدَّثُ مهيارُ عن السَّقيفةِ الَّتي اجتمعَ فيها الأنصار والمهاجرون ، وقد أجمعَ المجتمعون على الصِّدِّيقِ ، فهل اعترف مهيار بهذا الإجماعِ ؟ لم يعترفْ مهيار في شعرهِ بالإجماعِ الَّذِي أدَّى إلى اختيارِ الصِّدِّيقِ، لماذا ؟ ؛

---

(١) إسلام بلا مذاهب : (١٩٣) ..

(٢) السابق : (١٩٣) ...

لأنَّه كغيرهِ من الشِّيعةِ الإماميَّةِ " لا يُؤمنُ بالإجماعِ ما لمْ يكنْ مقرَّراً برأي الإمامِ ، وهذا ما تؤمنُ به الشِّيعةُ،فرأي الإمامِ ضروريٌّ في كلِّ إجماعٍ ، وإلَّا لا قيمةَ للإجماعِ إذا اتَّفقَ النَّاسُ وعارضَ الإمامُ ، وهو الإمامُ عليّ ، الَّذِي كانَ منهمكاً في غُسلِ الرَّسُولِ ـــ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـــ ولذلك لجأَ مهيار إلى الاستهزاء من هذا الاجتماعِ ، ونحنُ نعلمُ أنَّ الإجماعَ من أسسِ الفقهِ عند أهل السُّنَّةِ [1].." .

ومن شعرِ مهيار الَّذِي تناولَ فيهِ ما حدثَ في السَّقيفةِ قولهُ[2] (من البسيط):

فقلْتُ كانَتْ هناتٌ لسْتُ أذكرُها ... يجزِي بها اللّهُ أقواماً بما صنعُوا

أبلغْ رجالاً إذا سمّيتَهُمْ عُرفُوا ... لهم وجوهٌ من الشَّحناءِ تُمتقعُ

توافقُوا وقناةُ الدِّينِ مائلةٌ ... فحينَ قامَتْ تلاحَوا فيهِ واقترَعُوا

أطاعَ أوَّلُهمْ في الغدرِ ثانيَهمْ ... وجاءَ ثالثُهُمْ يقفُو ويتّبعُ

قفَوا على نظَرٍ في الحقِّ نفرضُهُ ... والعقلُ يفصِلُ والمحجوجُ ينقطعُ

بأيّ حكمٍ بنَوهُ يتبعُونكُمُ ... وفخرُكُمْ أنّكُمْ صَحبٌ لهُ تبعُ

وكيفَ ضاقَتْ على الأهلين تربتُهُ ... وللأجانبِ من جنبيهِ مضطجعُ

---

(١) مهيار : محمد على موسى ،(٥١) ...

(٢) الديوان : (٢ / ١٨٣) ...

وفـيمَ صَـيَّرتُمُ الإجمـاعَ حُجَّـتَكُمْ والنّاسُ ما اتّفقُوا طوعاً ولا اجتمعُوا

أمـرُ علـيٍّ بعيـدٌ مـن مشـورَتِهِ مُسـتكرَهٌ فيـهِ والعبَّـاسُ يمتنـعُ

وتدَّعيـهِ قـريشٌ بالقرابـةِ وال أنصـارُ لا رُفـعٌ فيـهِ ولا وُضُـعُ

فـأيُّ خُلـفٍ كخُلـفٍ كـانَ بيـنكمْ لـولا تُلفّـقُ أخبـارٌ وتصـطنعُ

واسـألْهُمْ يـومَ خُـمٍّ بعـدما عقـدُوا لـهُ الولايَـةَ لـمْ خـانُوا ولِـمْ خلَعُـوا

في الأبياتِ تصويرٌ تامٌ لآراءِ الإماميَّةِ في مسألةِ الخلافةِ ، فمهيارُ ينتقدُ المجتمعينَ في السَّقيفةِ بشدَّةٍ ، ويظهرُ الانتقادُ في قولهِ : " هنَات ، لهم وجوهٌ من الشَّحناءِ تمتقعُ ، أطاعَ أوَّلُهُم في الغدرِ ثانيَهُمْ ، وللأجانبِ من جنبيهِ مضطجعُ ، لمْ خانُوا ولِمْ خلعُوا " ، وهو في هذا الانتقاد ينتقدُ الخلفاءَ الثَّلاثةَ ، وقد أشارَ إليهِمْ بقولهِ : " أوَّلُهم ، ثانيَهُمْ ، ثالثهم " ، ولم يقفْ مهيارُ عند حدِّ الانتقادِ ، لكن لماذا كانَ الانتقادُ لما حدثَ في السَّقيفةِ ـ كما يرى مهيار ـ؟ ؛لأنَّ عليَّاً ــ كرَّمَ اللَّهُ وجههُ ــ لم يكن حاضراً في هذا الاجتماعِ ، ولأنَّ هذا الاجتماعَ لم يسفرْ عن اختيارِ عليٍّ ـ كرَّم اللَّهُ وجههُ ــ ومن هنا كانَ الرَّفضُ من مهيار لما أسفرَ عنهُ الاجتماعُ .....وفي الأبياتِ يعرضُ مهيار لرأي أهلِ السُّنَّةِ في قضيَّةِ الخلافةِ ، فهُمْ يَرَونَ صحَّةَ البيعةِ لأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ ، فقد أجمَعَتْ الأُمَّةُ على اختيارِهِمْ ، لكنَّه لا يسلِّمُ لهُمْ بذلِكَ ، ولا يقبلُ ما حدثَ ، ولا يسمّيهِ إجماعاً ؛ لأنَّ الإمام عليَّا لم يكن حاضراً ، ولا إجماعَ بدونِ حضورِ الإمامِ ، فهُو يقُول في الأبيات معلناً عن رأيهِ في إمامةِ الخلفاءِ : "وفيمَ صيَّرْتُمُ الإجماعَ حُجَّتَكُمْ ، والنَّاسُ ما اتَّفقُوا طوعاً ولا اجتمعُوا ، أمرُ عليٍّ بعيدٌ من مشورتهِ، مستكرهٌ فيهِ ، والعبَّاسُ

يمتنعُ " ، فمهيارُ لا يقبلُ بما حدثَ ؛ لأنَّ عليَّاً لم يكن موجوداً وكذلك العبَّاسَ ،فهُو يسمِّي عليَّاً والعبَّاسَ النَّاسَ ، وهما فقط من بين المسلمين يمثلانِ الإجماعَ ... ونحنُ نقُولُ لمهيار: كيفَ تقبلُ بالإجماعِ عندما يكونُ في صالحِ الإمامِ ، وترفضهُ عندما يكونُ لغيرهِ ؟ وأين أنت من إجماعِ الأُمَّةِ على الحسنِ ؟ ألم يكنْ هذا إجماعاً ؟ ولم الحديث عن الغدر من الصَّحابةِ وقد أجمع الصَّحابةُ على إمامةِ اثنينِ من آل البيتِ ، فأمرُ الخلافةِ بالإجماعِ كما يقُولُ أهلُ السُّنَّة ، وليسَ بالنَّصِّ ولا بالقرابةِ ، وأين النَّصُّ من قولِ الرَّسُولِ - ﷺ - نحنُ معاشر الأنبياءِ لا نُورَثُ ، فلو كانَتْ الإمامةُ بالميراثِ ، لنصَّ الرَّسُول على ذلكَ ...فالإمامةُ إجماعٌ وليستْ ميراثاً ، وهذا ما يحاولُهُ مهيار ، فهو يقول : إنَّ الإمامةَ ما صارَتْ في قريش إلَّا بسبب القرابةِ من رسول اللَّهُ ، فلماذا ينكرُون حقَّ آلهِ فيها؟ وهذا ما قالهُ في قوله : " وتدَّعيهِ قريشٌ بالقرابةِ..." ....

ولم يقفْ مهيار عند رفضِ الإجماعِ ، ولكنَّهُ يتَّهِمُ الخلفاءَ بأنَّهُمْ قدْ أخذوا الخلافةَ طمعاً فيها واغتصاباً لها من أهلها ، فهو يقُول[1] (من المتقارب) :

وحيّ وقُلْ يا نبيَّ الهُدَى تأشَّبَ نهجُكَ واستوغَلا

قضَيتَ فأرمَضَنا ما قضيتَ وشرعُكَ قد تمَّ واستكمَلا

---

(١) الديوان : (٣ / ٥١) .....

فـــرامَ ابـــنُ عمِّـــكَ فيمـــا سنَنْـــ ... تَ ، أنْ يتقـــــــبَّلَا أو يَمـــــــثَلَا

فخانَـــكَ فيـــهِ مـــن الغادريـــ ... نَ ، مَـــنْ غيَّـــرَ الحـــقَّ أو بـــدَّلَا

إلـــى أنْ تحلَّـــتْ بهَـــا تَيمُهـــا ... وأضـــحَتْ بنـــو هاشـــمٍ عُطَّـــلَا

ولمَّـــا سَـــرَى أمـــرُ تـــيمٍ أطـــا ... لَ بيـــتُ عـــديٍّ لهـــا الأرجُـــلا

ومـــــدَّتْ أميَّـــــةُ أعناقَهـــــا ... وقَـــد هُـــوِّنُ الخطـــبُ واستســـهلا

فنـــالَ ابـــنُ عفَّـــانَ مـــا لَـــمْ يَكـــنْ ... يُظـــنَّ ، ومـــا نـــالَ بـــلْ نَـــوَّلَا

فقـــرَّ وأنعـــمُ عـــيش يكـــو ... نُ ، مـــن قبلِـــهِ خشِـــناً قَلقـــلِا

وقلّبهـــــــا أردشـــــــيريَّةٌ ... فحـــــرَّقَ فيهـــــا بمـــــا أشـــــعلا

وســـــاروا فســـــاقوهُ أو أوردوهُ ... حِيـــاضَ الـــرَّدَى مَـــنهلاً مـــنهلاً

ولمَّـــا امتطاهـــا علـــيٌّ أخـــو ... ك ، ردَّ إلـــى الحـــقِّ فاســـتُثقِلَا

وجـــاءوا يســـومونه القـــاتلينَ ... وهُـــمْ قَـــدْ ولَـــوا ذلـــكَ المَقـــتَلا

والأبياتُ فيها قلبٌ للحقائقِ من أجلِ حقٍّ يدَّعِي مهيار أنَّهُ خاصٌّ بآل البيت، فلو كانَ الأمرُ ميراثاً، لكانَ من حقِّ كلِّ القبائلِ والشُّعوب أنْ يُطالبُوا بحقِّهِمْ في الإمامةِ والخلافةِ ، ولو كانَ الأمرُ ميراثاً ما خرجَتْ الخلافةُ من تيمٍ بعدما تحلَّتْ بها ، أو تركهُ بنو عديٍّ بعدما أطالُوا لها الأحبُلا ، أو تنازلَ عنهُ بنو أُميَّةَ بعدما مدُّوا إليها أعناقُهم ، أو ظلَّ الأمرُ في بني أُميَّةَ بعدما ارتَقَوا سُدَّتَها...فمهيار كما يظهرُ من الأبياتِ يتَّهِمُ بني تيمٍ وعديٍّ وأميَّةَ بالطَّمعِ في الإمامة من أجلِ حرمانِ بني هاشمٍ منها ، وهذا يعنِي أنَّ الجميعَ

كانَ يُدبِّرُ لهذا الأمرِ بليلٍ، والألفاظ الَّتِي جاءَ بها مهيار توحِي بذلِكَ ، فهُو يقُولُ : " تحلَّتْ بها تيمُها ، ومدَّتْ أميَّةُ أعناقَها، أطالَ بيتُ عديٍّ لها الأرجُلا " ، ونجدُ أنَّه يستمرُّ في وصفِ الصَّحابةِ بما لا يليقُ بهِمْ ، فهم خائنون وهُم غادرون، وقد جاءَ ذلك في قولهِ : " فخانَكَ فيهِ من الغادرينَ من غيَّرَ الحقَّ أو بدَّلا " ، وما سبقَ ليسَ من المقبول قوله حتَّى ولو كانَ ذلِكَ في حقِّ معاويةَ ، مع أنَّ معاويةَ قدْ نازعَ الإمامَ عليًّا في الإمامةِ ، لا من أجلِ أن يأْخذَ بثأرِ عثمانَ كما قالَ ، ولكن من أجلِ أن تصيرَ الإمامةُ إليه ، فلو كانَ معاويةُ جاداً فيما يقُولُ ، فلماذا لم يأخذْ بثأرِ عثمانَ من قتلتهِ بعدما تحلَّى بتاجِ الخلافةِ ؟ هل نسِيَ أنَّهُ ابنُ عمِّهِ كما يقُول ؟ أم أنَّ الخلافةَ قد أنستهُ أمر الثَّأرِ ، أقُولُ ليس بمقبولٍ الطَّعنُ في الصَّحابةِ حتَّى لو كانَ ذلك الطَّعنُ في معاويةَ ، وممَّا لا نوافقُه فيهِ ، ما قالهُ في حقِّ الخليفةِ عثمانَ ، فقدْ قالَ إنَّ عثمانَ نُوِّلَ الخلافةَ ، وهذا يعنِي أنَّ عثمانَ لم يكُنْ جديراً بالخلافةِ ، عثمان الَّذِي كانَ سبَّاقاً إلى الإسلامِ ، عثمانُ ذو النُّورينِ ، عثمانُ ذو الهجرتينِ ، عثمان الَّذِي اشترَى بئرَ رُومةَ ، عثمانُ الَّذِي جهَّزَ جيشَ العُسرةِ من مالهِ الخاص ، فهل كانَ عثمانُ يحتاجُ إلى الخلافةِ ؛ ليكون في أنعمِ عيشٍ بعدما كانَ عيشهُ قلقاً ؟ ثمَّ إنَّهُ يتَّهِمُ عثمانَ بالغشِّ والخداعِ من أجلِ الوصول إلى الخلافةِ ، فهُو يقُولُ : " فنالَ ابنُ عفَّانَ ما لم يكُنْ يُظنُّ ، وما نالَ بل نُوِّلا " ، إنَّه بهذا القولِ يُشكِّكُ في عبد الرَّحمنِ بن عوفٍ ، فعبد الرَّحمنُ كما وصَّى عمرُ كان الحكمَ في أمر الخلافةِ بعدما نزعَ نفسهُ منها ، فهل حكم عبد الرَّحمن بالخلافةِ لعثمان وهو ليس جديراً بها ، ولكن لماذا يفعلُ ذلك عبد الرَّحمن ؟ هل من أجلِ المالِ ؟ أم من أجلِ القرابةِ ؟ لم يكن عبدُ الرَّحمنِ يحتاجُ إلى المالِ، فقَد كانَ من الأثرياء ، وهو أيضا لم يفعلْ

ذلك من أجلِ قرابةٍ بينهُ وبين عثمان ، ولو كانَتْ القرابـةُ حاضرةً فـي لحظـةِ الاختيارِ ، لكانَ قد اختار عليَّاً ، لكن لماذا كانَ سيختارُ عليَّاً ؟ هل ينسَى عبد الرَّحمن أنَّ عليـاً زوجُ فاطمـة ، وفاطمـةُ بنـتُ محمَّـدٍ ، ومحمَّـدُ ابـن آمنـةَ ، وآمنـةُ ابنـةُ عمِّهُ ، فلو كانَ الأمرُ بالقرابةِ لكانَ عليٌّ هو الأقربُ إلـى اختيـارهِ ، لكنَّ الأمانـةَ هي الَّتِي قضَتْ في الأمرِ...

وإذا كـانَ مهيـار يـرفضُ مـا حـدثَ فـي السَّـقيفةِ ؛ لأنَّ عليَّـاً لـم يكُـن حاضـراً مـع الحاضـرين ،كمـا أنَّ مـن تـمَّ اختيـارُهُ لـيسَ الأقـربَ ، فإنَّـهُ فـي قصائدَ كثيرةٍ يظلُّ محافظـاً علـى هذا النـهجِ ولا يحيدُ عنـهُ أبداً....فهُو ينكرُ على بني أُميَّةَ أخذَ الخلافةِ من الإمامِ عليّ مع أنَّهُ الأحقُّ والأقربُ ، كمـا أنَّـهُ يتَّهمهُمْ بالخيانـةِ والغدرِ والظُّلمِ ، وأنَّهُم أخذوا الخلافـةَ ؛ ليخصُّـوا بخيراتِـها أعوانـهَمْ وأنصارَهُمْ ، فهُو يقُول[1](من الرَّجز) :

والأمـــــويُّ مالـــــهُ أخـــــرَّكُمْ ... وخـصَّ قومــاً بالعطــاءِ والنّفـل
وردَّهـــــا عَجمـــــاءَ كســـــرويَّةَ ... يُضـاعُ فيهـا الـدِّينُ حفظـاً للـدِّول
كـــذاكَ حتّـــى أنكـــرُوا مكانـــهُ ... وهُـــمْ عليـــكَ قـــدَّمُوه فقَبِـــل
ثُـــمَّ قسَـــمْتَ بالسَّـــواءِ بيـــنَهُمْ ... وعظُـــمَ الخطـــبُ علـــيهمْ وثقُـــل
فشُـــحِذَتْ تلـــكَ الظُّبـــا وحُفـــرَتْ ... تلـك الرُّبَـى وأُضـرِمَتْ تلـكَ الشُّـعل
مواقـفٌ فـي الغَـدرِ يكفِـي سُـبَّةً ... منهـا وعـاراً لهُـمْ يـومُ الجمـل
يـا ليـتَ شِـعري عـن أكُـفٍّ أَرهَفَـتْ ... لـكَ المواضِـي وانتحَتْـكَ بالـذُبل
واحتطبَـتْ تبغيـكَ بالشَّـرِّ علـى ... أيّ اعتـذارٍ فـي المعـادِ تتكّـل

---

(١) الديوان : (٣ / ١١٣) ...

وعَنْ حصَانٍ أبرِزَتْ يُكشفُ باسـ تخراجِهـا، سِـترُ النّبـيِّ المُنسـدِل
تطلــبُ أمــراً لــم يكُــنْ ينصــرُه بمثلِهـا فـي الحـربِ إلَّا مَـنْ خـذَل

مهيار يؤكِّدُ على ما سبقَ في قصيدتِهِ العينيةِ المضمومةِ ، ويضيفُ ما يقُولُ بـهِ الشِّيعةُ من النَّصِّ على إمامتـهِ من قبلِ الرَّسُولِ ، فهُو يقُول [1]في هذه العينيَّةِ (من البسيط) :

هـذِي قضـايا رسـولِ اللهِ مهمَلـةً غـدراً وشـملُ رسـول اللهِ منصـدعُ
والنّاسُ للعهدِ ما لاقوا وما قرُبوا وللخيانـةِ مـا غـابُوا ومـا شـعبوا
وآلــــهُ وهُــــمُ آلُ الإلــــهِ وهُــــمْ رُعاةُ ذا الدِّينِ ضيمُوا بعدَهُ ورُعُوا
ميثاقَــــهُ فــــيهمُ ملقــــىً وأمَّتُــــهُ معْ مَنْ بغاهُمْ وعادَاهُمْ لهُ شِبعُ
تُضـاعُ بيعتُـهُ يـومَ الغَـدير[2] لهُـمْ بعدَ الرِّضَا وتُحاطَ الرُّومُ والبيعُ
وقائــل لــي علــيّ كــانَ وارثَــهُ بالنّصِّ منهُ فهلْ أعطَوهُ أم منعُوا

رابعا ـ المصَارِع :

---

(١) الديوان : (٢ / ١٨٢) ..
(٢) يوم الغدير :يومٌ تقول الشِّيعةُ إنَّ النَّبـيَّ ـــ صلَّى اللَّهُ عليـه وسلَّم ـــ وصَّى فيـهِ بالإمامـة للإمـام عليّ ، وهم يحتفلُون بـهِ ، ويذكرون في ذلك حديثاً للنَّبـيّ ، وقد ضعَّفَ الألباني هذا الحديث في سلسلة الأحاديثِ الضَّعيفة ....

كثُرتْ الآراءُ في مسألة الخلافةِ ، وكانَ هناكَ صراعٌ طويلٌ من أجلِ هذا الأمرِ ، وكانَ لهذا الصِّراعِ آثارٌ مدمّرَةٌ قوَّضَتْ من القُوَّةِ الإسلاميَّةِ في بدايةِ التَّكوينِ ، وظلَّ هذا الصِّراعُ في عصور متلاحقةٍ ، ولم تكن هناكَ مكاسبُ يمكنُ أنْ تُجنَى من هذا الصِّراع ، بل كانَ هناك سفكٌ للدِّماءِ وقتلَى من الطَّرفينِ ، ولو نظر هؤلاءِ المتَّصارعونِ إلى الأمَّةِ وصالحها ، ما رأينا هذا الانقسامَ والضَّعفَ في جسدِ الأُمَّةِ . وأعتقدُ أنَّ هذا الصِّراعَ كانَ مختلقاً من أجلِ تدميرِ هذه الأمَّة ، ولو نظر هؤلاءِ المتصارعونِ إلى نصوصِ القرآن الكريمِ ، لوجدوا أنَّ القرآنَ قد جاءَ ليؤكِّدَ على مبدأ المساواةِ بين أفرادِ هذه الأُمَّةِ في الواجباتِ وفي الحقوقِ ، فلو خصَّ القرآنُ طرفاً من أبناءِ الأُمَّةِ بالخلافةِ ؛ لأدَّى ذلكَ إلى نزاعاتٍ وصراعاتٍ وانقساماتٍ في حياةِ النَّبيِّ - ﷺ - ، ولكنَّ نصوصَ القرآنِ تتكلمُ عن المساواة في النَّشأةِ والتَّكوينِ ، وكذلكَ المساواة في وسائلِ الوصولِ إلى أسمَى غايةٍ ألا وهي الجنَّةُ ، فقد جعلَ القرآنُ السَّبيلَ إلى ذلكَ عن طريقِ التَّقوَى ، وإذا كانَتْ الجنَّةُ وهيَ أسمَى مكانٍ يمكنُ أنْ يصلَ إليهِ إنسان لا تُنالُ إلَّا بالتَّقوَى ، فما بالنا بالإمامةِ ، إذاً فالإمامةُ ليسَتْ ميراثاً ، وليسَتْ في قريش ، فالنَّصُّ النَّبويُّ الَّذِي أشارَ إلى كونِ الإمامةِ في قريش ، قد جعلَ ذلكَ مشرُوطاً بالعدلِ ، فإذا حاد القريشيُّ عن العدلِ ، فلا طاعةَ له ولا إمامةَ ، وإذا عدلَ العبدُ الحبشيُّ فهُو الأحقُّ بالإمامةِ . ولو نظرَ المسلمون في سيرةِ النَّبيّ - ﷺ - نظراً دقيقاً ، لكانَ في هذا النَّظرِ ما يكشفُ الطَّريقَ في كثيرٍ من القضايا الَّتِي تتداخلُ فيها الأهواء ، فهلْ رأينا رسولَ اللَّهِ يخصُّ قريباً بمنصبٍ أو مشاورةٍ ، فقد رأينا بلالاً مؤذناً ، ورأينا ابن أم مكتوم والياً على المدينةِ ، ورأينا سلمانَ الفارسيَّ مستشاراً يؤخذ برأيهِ في أهم

الأحداثِ. كنَّا نتمنَّى ألَّا يكونَ هناكَ صراعٌ ، كنَّا نتمنَّى أن يكونَ هناكَ إيثارٌ وتضحيَّةٌ، كنَّا نتمنَّى أن يكونَ الحُبُّ حاضراً في ذاكرةِ الجميعِ ؛ من أجلِ تجنُّبِ الصِّراع الَّذِي جعلَ دماءَ الأُمَّةِ أنهاراً ..

سالتْ الدِّماءُ في كلِّ مكانٍ من أبناءِ الأُمَّةِ بسببِ الصِّراعِ من أجلِ الخلافةِ ، فقدْ سالَتْ الدِّماءُ في يوم الجملِ وصِفَّينِ وكربلاءَ وفي أيَّامٍ كثيرةٍ كانَتْ بعد ذلكَ ، وقد وجدنا شعراءَ الأحزابِ يتحدَّثُونَ في شعرهِمْ عن الأرواحِ الَّتِي أزهقَتْ في هذه الوقائعِ ، ومن هؤلاءِ الشُّعراءِ مهيار ، فقد تحدَّثَ كثيراً في شعرهِ عن مصارعِ آل البيتِ ، وكانَ حديثُه في الغالبِ عن مصارعِ آل البيتِ في الأيَّامِ الثَّلاثَةِ السَّابقةِ ، وكان مهيار يقصدُ من ذلكَ إلى مزيدٍ من التَّعاطفِ مع الحقِّ العلويِّ في مسألةِ الإمامةِ .....

ففي قصيدته الفائيَّةِ المكسورةِ يذكرُ مهيار مُصاباً جللاً من مصائبِ آل البيت في يومِ كربلاء ، ففي هذا اليومِ المشهودِ ،يقتلُ الحسين ، وتُفصلُ رأسهُ عن جسدهِ ، ولم يكن مهيار وحدَه من تحدَّثَ عن مصرعِ الحسين بل كانَ يسيرُ على نهجٍ من سبقَهُ من شعراءِ الشِّيعةِ وغيرِهِمْ ممَّنْ تعاطفُوا مع مصرَعِ الحسينِ ، يقُول [1]مهيار في هذه القصيدةِ (من الطَّويل) :

وجـدَّدَها بـالطفِّ بابنـك عُصـبَةٌ أباحُوا لـذاك القِرف حِكّـة قـارفِ[2]

يعِـزَّ علَـى محمَّـدٍ بـابنِ بنتِـهِ صبيبُ دمٍ من بينِ جنبيكَ واكفِ[1]

---

(١) الديوان : (٢ / ٢٦١) ....
(٢)الطَّفُّ : الشاطئ ، والجمعُ : طُفُوفٌ ، وهو ما أشرف من أرضِ العربِ على ريف العراقِ ، وهُو مكانٌ قُتِلَ فيهِ الحسين ... القِرف : القشرَةُ ، وما يختلعُ من الأرضِ . الحِكَّةُ :إحساسٌ بتهيُّجٍ جلدي تنشأ منهُ حاجةٌ إلى الهَرشِ ....

أجـازُوكَ حقّـاً فـي الخلافـةِ غـادرُوا جوامـعَ منـهُ فـي رقـابِ الخلائـفِ
أيـا عاطشـاً فـي مصرعٍ لـو شـهدتُهُ سـقَيتُكَ فيـهِ مـن دمـوعي الـذّوارفِ
سـقَى غُلّتِـي بحـرٌ بقبـرِكَ إنّنِـي علـى غيـرِ إلمـامٍ بـهِ غيـرُ آسـفِ(٢)
وأهـدَى إليـهِ الزّائِـرُونَ تحيَّتِـي لأشـرُفَ إنَّ عينِـي لـهُ لـم تشـارِفِ
وعـادُوا فـذرَّوا بـين جنبـيّ تُربـة شِفائِيَ مِمَّـا استحقبُوا فـي الحقائـبِ
أُسِـرُّ لِمـنْ والاكَ حُـبَّ موافـق وأُبِـدي لِمَـنْ عـاداكَ سـبَّ مخـالفِ
دعيٌّ سَعَى سَعيَ الأسودِ وقد مشَى سواهُ إليها أمسِ مشَيَ الخوالفِ
وأغـرَى بِـكَ الحُسَّـادَ أنّـكَ لَـمْ تكُـن علَـى صـنَمٍ فيمـا روَوهُ بعـاطفِ
وكنتَ حصَانَ الجيبِ من يد عـامرٍ كذاكَ حصَانَ العِرضِ من فمِ قـاذفِ

الأبيـاتُ فيهـا تصـويرٌ لمشـهدِ مقتـلِ الحسـينِ ، ومهيـار لـمْ يَـرَ هـذا المَشهدَ الدَّمويَّ ، لكنَّهُ أبصرَهُ في عيونِ من حضرُوا هذا المشهدَ المُخيفَ الذَّريعَ الفَظيعَ . ومـاذا حدثَ للحسينِ قبلَ موتـهِ وبعده ، إنَّـه يُقدِّمُ لنـا هذا التَّفصيلَ ، فنراهُ يُصوِّرُ اللَّحظاتِ الأخيرةَ في حيـاةِ الحسينِ ، ومـاذا فعلَ بـهِ من حاربُوهُ من قادةِ الأمويِّينَ ؟ لقد منعُوا عنهُ الماءَ، وفي ذلكَ يقُول مهيار: " أيا عاطشاً في مصرَعٍ لـو شـهدتُهُ ، سقَيتُكَ فيـهِ مـن دمـوعي " ، ونلاحظُ

---

(١) الواكف : المطرُ الهاطلُ..
(٢) الغُلَّةُ : شدَّةُ العطشِ .

أنّهَ يؤثرُ صيغَةَ اسم الفاعل للتَّعبيرِ على ما أصابهُ من عطشٍ ، ولقد كانَ مهيار دقيقاً في هذا الاختيارِ ، فهذا الوصفُ يُجسِّدُ معاناةَ الحسينِ في أوقاتِ العطشِ الَّتِي أرادَتْ كسرَهُ للقضاءِ عليهِ ، لقدْ كانَ الحصارُ قاسياً وطويلاً ، كما أنَّ هذه الصِّيغةَ تفيدُ الثبوتَ في هذا الحصار ، فلم يكن هناك انقضابٌ أو انفصالٌ، كما أنَّهُ أجادَ كذلكَ في تصويرِ قُبحِ ما حدثَ مع الحسين بعد موتهِ ، لقد نُحرَ الحسينُ ، وفي ذلكَ يقُول مهيار : " صبيبُ دمٍ من بين جنبيك واكفِ " ، فكلمةُ صبيبٍ تكشفُ عن غزارةِ ما سالَ من دماءِ الحسينِ، الحسينُ ابنُ فاطمة وعليٍّ ، الحسينُ ريحانةُ رسول اللَّهِ - ﷺ - الحسينُ سيِّدُ شبابِ الجنَّةِ ، ولاشكَّ أنَّ ما حدثَ مع الحسينِ جعلَ الكثيرينَ يتعاطفُونَ معهُ وبخاصَّةٍ أهلهُ وشيعتُهُ وأنصارهُ ، كما أنَّ ما حدثَ جعلَ هؤلاءِ المتعاطفينِ يكثرُونَ في شعرِهمْ من ذكرِ مناقبِ الحسينِ ، ومن ذكرِ مثالبِ الأمويِّينَ ، وكذلكَ جعلَهُمْ يُعربُون في شعرِهمْ عن مشاعرِهِمْ الخاصَّةِ تجاه هذا المصرَعِ ، ومن الألفاظِ والعباراتِ الَّتِي تكشفُ عن فضلِ الحسينِ قوله : " يعِزُّ على محمَّدٍ بابنِ بنتهِ " ، وهل هناكَ بعد هذا الفضلِ فضلٌ ، إنَّ الحسينَ ابن بنت رسولِ اللَّهِ ، فكيفَ يحدثُ معه ما حدثَ ، وعندما يتحدَّثُ مهيار عن بشاعةِ الَّذين قتلُوهُ يقُولُ : " دعيٌّ سَعَى سَعيَ الأُسودِ ، وأَغرَى بك الحُسَّاد " ، وهُو يقصدُ بالدَّعي زيادَ بن أبيهِ .. وكانَ مهيار أكثرَ توفيقاً في تصويرِ مشاعرهِ وأحاسيسهِ الَّتِي فاضَتْ حزناً على الحسين ، فهُو يقُول في هذا الطَّريقِ : " سقَيتُكَ فيهِ من دموعِي ذوارفِ ، سقَى غُلَّتِي بحرٌ بقبرك " ....

وإذا كانَ مهيار في هذه القصيدةِ حزيناً لمصرعِ الحسينِ ، فإنَّهُ في قصيدةٍ أخرىَ يؤكِّدُ على هذا الحُزنِ ، كما أنَّهُ لا يحبُّ من أصدقائهِ إلَّا من شارَكهُ في هذا الحزنِ ، يقُول مهيارُ [1](من المتقارب) :

ولـيسَ صـديقيَ غيـرَ الحـزين ... ليـومِ الحسـينِ وغيـرَ الأسـوفِ

هـو الغصـنُ كـانَ كمينـاً فهـبَّ ... لـدَى كـربلاءَ بـريحٍ عصـوفِ

قتيـلٌ بـهِ ثـارَ غِـلُّ النّفَـوسِ ... كما نغِـرَ الجـرحَ حـكَّ القُـرُوفِ[2]

نسَـوا جـدَّهُ عنـد عهـدٍ قريـبِ ... وتالِـدَهُ مـع حـقٍّ طريـفِ

ويقُولُ أيضاً في قصيدةٍ طويلةٍ نعَى فيها الشَّريفَ الرَّضِيَّ مجاهراً بما حدثَ للحسينِ ومعرباً عن أسفهِ لما حدثَ ، ومظهراً لحزنهِ القاصِي عليهِ ، يقُولُ [3](من الكامل) :

مـنْ جـبَّ غـاربَ هاشمٍ وسنامَها ... ولـوَى لؤيَّـاً فاسـتزلَّ مقامهـا

وغـزا قريشـاً بالبطـاحِ فلفّهـا ... بيَـدٍ وقـوَّضَ عزّهـا وخيَامَهـا

وأنـاخَ فـي مُضَـرٍ بكَلكَـلِ خَسـفِهِ ... يسـتامُ ، واحتملْـتُ لـه مـا سـامَها

مـن حـلَّ مكّـةَ فاسـتباحَ حريمَهـا ... والبيـتُ يشـهدُ واسـتحلَّ حرامَهـا

---

(١) الديوان : (٢ / ٢٦٣) ..
(٢) نَغِرَ : زاد ..
(٣) الديوان : (٣ / ٣٦٧) ...

ومضَى بيثربَ مزعجاً ما شاءَ مِنْ تلـك القُبُـورِ الطَـاهراتِ عظامَهـا

يبكِـي النّبـيُّ ويسـتنيحُ لفـاطمٍ بـالطَفِّ فـي أبنائِهـا أيَّامَهـا

الـدِّينُ ممنـوعُ الحِمَـى مَـنْ راعَـهُ والـدَّارُ عاليـةَ البنـاءِ مـن رامَهـا

أتنـاكَرَتْ أيـدِي الرِّجـالِ سـيُوفُها فاستسـلَمَتْ أم أنكـرَتْ إسـلامَها

ومـعَ أنَّـه يبكـي الرَّضـيَّ ، إلَّا إنَّـهُ لا ينسَـى مصـرَعَ الحسـينِ ، فالحسينُ حاضرٌ دائماً مع مهيار في حياتهِ وشعرهِ ، إنْ بكَى غيرَ الحسينِ ، فظلالُ الحسينِ في هذا البكاءِ ، فالحزنُ لمصرعِ الحسينِ أكبرِ من كلِّ حزنٍ وفوقَ كلِّ حزنٍ ، بل وقبلَ كلِّ حزنٍ ، وكيفَ لا يذكرُ مهيار الحسين ويبكيهِ ؟ ، وقد بكاهُ من هو خيرٌ منهُ ، بكاهُ الرَّسُولُ ، وكيفَ لا يبكي الرَّسُولُ لمصرعِ الحسينِ ، وهُو ابنُ فاطمة الَّتِي أَشبَهَتْ النَّبيَّ في خلقِهِ وخلُقِهِ .

الحسينُ لا يفارقُـه ، إنَّـهُ يلازمـهُ فـي السَّـراءِ والضَّـراءِ ، لقد أحـالَ الحـزنُ علـى الحسـين حيـاةَ مهيـار إلـى كآبـةٍ وألـمٍ ، وكيـفَ لا ؟ والسَّـمواتُ تبكيهِ ، والجبالُ كادتْ تزولُ لمَّا صُرِعَ ، بقُولُ[1] (من الخفيف) :

وشَـهيدٍ بـالطَفِّ أبكَـى السَّـمَوا توكـادَتْ لـهُ تـزولُ الجبـالُ

يـا غليلِـي لـهُ وقـد حـرِّمَ المـا ءُ عليـه وهـو الشَّـرابُ الحـلالُ

قَطِعَـتْ وصـلَةَ النّبـيِّ بـأنْ تُـق ـطَ مـن آل بيتـهِ الأوصـالُ

---

(١) الدِّيوان : (٣ / ١٧) ..

لم تُنَجِّ الكهولَ سنٌّ ولا الشَّب بـــان زهـــدٌ ولا نَجـــا الأطفـــالُ
لهـفَ نفسـي يـا آل طـه علـيكم لهفـــةً كســـبُها جـــوى وخبـــالُ
وقليـــلٌ لكـــمْ ضُـــلَوعي تهتـــزّ مـــع الوجـــدِ أو دمـــوعي تـــذالُ

وكما تحدَّثَ مهيار عن مصرعِ الحسين ، تحدَّثَ كذلكَ عن مصرَعِ الإمامِ عليٍّ ، وفي هذا يقُولُ[1] مهيار(من الطَّويل) :

فـلا زُرَّ ذاكَ السِّـجفُ إلّا لكاشـفٍ ولا تـــمَّ ذاكَ البـــدر إلّا لكاســـفِ
فـإنْ خفتُمـا شَـوقِي فقَـدْ تأمنانـه بخاتلـــةٍ بـــينَ القنـــا والمخـــاوفِ
بصـفراءَ لـو حلّـتْ قـديماً لشاربٍ لضـــنّتْ فمـــا حلّـــتْ فتـــاةٌ لقـــاطفِ
يطوفُ بها من آل كسرَى مقرطق يحـدِّثُ عنهـا مـن ملـوكِ الطّوائـفِ
يُـــذكِّرُني مثـــوَى علـــيٍّ كـــأنّني سـمعْتُ بـذاكَ الـرِّزءِ صيحةَ هـاتفِ

ومصـرعُ علـيٍّ كـان رزءاً كبيـرا ، ومهيـار لا يقُـدِّمُ كثيـراً عـن هـذا الحدثِ الجللِ كما رأينـا منـهُ عند حديثـهِ عن مصرعِ الحسينِ ، كما أنَّـهُ لم يتحدَّثْ عن كثيرٍ من مصارعِ آل البيت الَّذين عاصروا أو سبقُوهُ ، وقد ظهرَ من خلالِ الحديثِ عن المصارعِ ، أنَّـهُ خصَّ الإمامِ الحسينِ بالقِسطِ الوافي من هذا الحديثِ ....

---

(١) الديوان : (٢ / ٢٦٠) ...

خامساً ـ الباعث :

وقد تحدَّثَ مهيار كثيراً عن الدَّوافعِ الَّتِي جعلتْهُ يتَّجهُ هذا الاتِّجاهَ ، فقَدْ ذكرَ أنَّ إسلامَهُ كانَ على يدِ آلِ البيتِ ، وقد كانَ ذلكَ على يدِ الشَّريفِ الرَّضِيّ ، وهذا بلا شكٍّ كانَ من أهمِ الأسبابِ الَّتِي مكَّنَتْ للتَّشيُّعِ في قلبِهِ ، كما ذكرَ مهيار أنَّ أصلَهُ الَّذِي انبثَقَ منهُ كانَ أيضاً من أسبابِ هذا التَّشيُّعِ ، وقد أكَّدَ على هذا كلُّ من كتبَ عن مهيار ، ومن هؤلاءِ محمَّد عليّ موسَى في كتابهِ مهيار، فهُو يقُولُ : " إنَّ حُبَّ آل البيتِ قد استحكمَ في قلبِ الشَّاعرِ ،وطغَى على كُلِّ حُبٍّ سواهُ ، ولعلَّ السببَ في ذلكَ يعُودُ إلى ديلميَّتِهِ في الدرجة الأولى، وإلى فارسيَّتِهِ في الدرجةِ الثانيَّةِ ، وإلى اتِّصالِهِ أخيراً بالشَّريفِ الرَّضِيّ ، ذلك الاتِّصالُ الَّذِي كانَ لهُ أكبرُ الأُثرِ في مذاهبِ مهيار الفكريَّةِ ..." ، وإذا كنَّا قد اتَّفقنا مع الأستاذ محمَّد موسى فيما ذكرهُ من أسبابٍ تتعلَّقُ بتشيُّعِ مهيار، فإنَّنا لسنا معهُ فيما قالهُ عن حالةِ مهيار النَّفسيَّةِ قبل التَّشيُّعِ ، فهُو يذكرُ أنَّه قبل التَّشيُّعِ كانَ خالياً من كلِّ المذاهبِ الفكريَّةِ ، ولم يكن يعلمُ شيئاً عن هذه المذاهبِ الفكريَّةِ ، وهذا ما جعلهُ يقبلُ التَّشيُّعُ ويتَّصلُ بهِ ، يقُولُ الأستاذ موسَى :" ولقد كانَ مهيار قابلاً للتَّفاعلِ بمثلِ هذه التَّياراتِ ؛ لأنَّهُ لمْ يكُنْ قد تَأَثَّرَ بعد بالمذاهبِ المختلفةِ الشَّائعةِ ، وهكذا كانَ التَّشيُّعُ أوَّلَ فكرةٍ ولَجَتْ يقينَهُ فتقبَّلها قبولاً حسناً ، واستحكمتْ في قلبهِ .[1]..." ، وهُو بهذا القَولِ يناقِضُ نفسه في قولهِ السَّابقِ ، كما أنَّهُ يناقضُ نفسهُ بعد ذلكَ ، فهُو يقُول : " أسلَمَ مهيار بعدَ أنْ كانَ التَّشيُّعُ قد تملَّكَ شغافَ قلبهِ ، وخالطهُ مخالطةَ اللَّحمِ والدَّمِ ، فجنَّدَ نفسه جنديَّاً أميناً

---

١) مهيار الدَّيلميّ : (٤٥ ، ٤٦) .

ومدافعاً نشيطاً عن الدَّعوةِ العلويَّةِ ، وكانَ كمن سبقَ من شعراءِ الشِّيعةِ وأدبائها كثيرَ التَّألُمِ بكَّاءَ شكَّاءَ ينذُبُ السَّادةَ المجدَّلينَ وينالُ ممَّنْ نكَّلَ بهِمْ وآذاهُم ، ويعلنُ على الملأِ مذهبهُ الفكريَّ دونَ خوفٍ أو وجلٍ ...[1]."

ومن هنا كان مهيار محبَّاً لآل البيتِ ، ومخلصاً لهُمْ في شعرهِ ، وقد تحدَّثُ في شعرهِ عن هذا الحُبِّ ، وعن أسبابِ هذا الحبِّ ، وقد وجدنا حرصَهُ على إعلانِ هذا الحبِّ دونَ خوفٍ أو وجلٍ في كلِّ قصائدهِ المذهبيَّةِ ، وقد أبان مهيار في هذا المنهجِ عن أسبابِ اعتناقهِ لمذهبِ الشِّيعةِ .....

ومن شعرِ مهيار الَّذِي أظهرَ فيهِ أسبابَ التَّشيُّعِ عنده قوله[2](من البسيط) :

جاهَدتُ فيكَ بقَولِي يومَ تُختصمُ ال ... أبطالُ إذ فاتَ سَيفِي يومَ تمَتصِعُ[3]

إنَّ اللَسانَ لوصَّالٌ إلى طَرُقٍ ... في القلبِ لا تهتديهَا الذُبَّلُ الشُّرُعُ

آباي في فارسٍ والدِّينُ دينُكُمُ ... حقا لقد طابَ لي أسٌّ ومرتبعُ

ما زلتُ مُذْ يَفعَتْ سنِّي ألوذ بكمْ ... حتَّى مَحَا حقّكُمْ شَكِّي وأنتجِعُ

وقَدْ مضَتْ فُرُطاتٌ إنْ كفلْتَ بها ... فرَّقْتُ عن صُحَّفِي البأسِ الَّذِي جمعُوا

سَلمانُ فيها شَفيعِي وهْوَ منكَ إذا ال ... آباءُ عندكَ في أبائِهِمْ شفعُوا

فكُنْ بها منقذاً من هولِ مُطَّلَعي ... غداً وأنت من الأعرافِ مُطَّلِعُ

---

(١) السَّابق : (٤٨) ...
(٢) الديوان : (٢ /١٨٤) .
(٣) المصَعُ : الضَّربُ بالسَّيف.

سوَّلْتُ نفسي غُرُوراً إن ضَمِنْتُ لها أنّـى بـذخرٍ سِـوَى حَبِّيـكَ أنتفـعُ

الأبياتُ تُظهرُ بوضوحٍ لماذا جاهدَ مهيار من أجلِ آل البيتِ ؟ وتظهر كذلكَ بماذا جاهدَ ؟ فهُو قد جاهدَ بلسانهِ ، وجهادُ اللِّسانِ ربَّما حقَّقَ ما لمْ يحقِّقْهُ السَّيفُ ، بل إنَّه مهيار يُؤكِّدُ على الطُرُقِ الَّتِي يهدِي إليها اللِّسانُ ، فهُو يقُولُ : " إنَّ اللِّسانَ لوصَّالٌ إلى طُرُقٍ ، في القلبِ لا تهتديها الذُّبَّلُ الشُّرُعُ " ، وبعد أنْ ذكرَ طرقَهُ في صراعِ المعارضينِ لآل البيتِ ، ذكرَ كذلكَ تاريخَهُ مع التَّشيُّعِ ، وكيفَ بدأَ هذا الطَّريقَ ؟ والأبياتُ تكشفُ عن بدايةِ التَّشيُّعِ ، ليسَ فقط عند مهيار، ولكن أيضاً عند الفرسِ الَّذِين تشيَّعوا مبكراً ووجدَ التَّشيُّعُ عندهُمْ أرضاً خصبَةً وثريَّةً ، ويظهرُ ذلكَ في قولِ مهيار : " آباي في فارسٍ والدِّينُ دينكُمْ ، حقَّاً لقَدْ طابَ لي أُسٌّ ومرتبعُ " ، كما يظهرُ ذلكَ أيضاً في قولهِ : " ما زلتُ مذْ يفعَتْ سنِّي ألوذُ بكم ، حتَّى محا حقُّكم شكِّي "، وقد ذكرَ مهيار في قوله : " محا حقُّكم شكِّي " سبباً من أسبابِ تشيُّعِهِ ، كما أنَّهُ يشيرُ إلى سببٍ آخرٍ في قوله : " فكن بها منقذي من هولِ مُطَّلَعِي " .....وقد أشارَ مهيار في قصيدةٍ أخرَى بل في قصائدَ أُخَر إلى هذا السببِ من أسبابِ تشيُّعِهِ ووقوفهِ مع آل البيتِ إلى أن يستردوا حقَّهُمْ في الإمامةِ ، يقُول[1] مهيار (من الطويل) :

وكنتَ حصَانَ الجيبِ من يدِ غامر كذاكَ حصانَ العِرضِ من فمِ قاذفِ

ومـا نسـبٌ مـا بـينَ جنبـيَّ تالـدٌ بغالــبٍ ودٍّ بــينَ جنبــيَّ طــارفِ

هَــوَاكمْ هُــو الــدُّنيا وأعلــمُ أنّــهُ يُبيِّضُ يومَ الحشرِ سُودَ الصَّحائفِ

---

(١) الديوان : (٢ / ٢٦٢) ...

ويقُولُ أيضاً[1] (من الرَّمل) :

يـــــا هُـــــداةَ اللّهِ والـــــنّجـ وةَ، فـــــي يـــــومِ الهَـــــلاكِ

بكُـــمْ اســـتدلَلْتُ فـــي حيـــ رةِ ، أمـــــــرِي وارتبـــــــاكِي

أظلـــــمَ الشَّـــــكَّ وكُنـــــتُمْ لـــــي مصـــــابيحَ المَشـــــاكِي

ويقُول أيضاً[2] (من المتقارب) :

لكـمْ يـا آلَ ياسـين مَـدحِي صـفا ووِدِّي حـــــلا وفـــــؤادِي خـــــلا

وعنـــــدي لأعـــــدائكمْ نافـــــذا تُ ، قـــولِي مـــا صـــاحبَ المقـــوَلا

ركِبْـــتُ لكـــمْ لَقَمـــي فاســـتنَنْتُ وكنـــــتُ أخابطَـــــهُ مَجهـــــلا

وفَـكَّ مـن الشِّـركِ أسـرِي وكـا نَ ، غَـــلّاً علـــى مَنكبِـــي مُقفَـــلا

أوَالِـــيكُمُ مـــا جـــرَتْ مُزنـــةٌ ومـــا اصـــطخَبَ الرَّعـــدُ أو جلجـــلا

وأبـــــرأ ممَّـــــنْ يُعـــــادِيكُمُ فـــــإنَّ البـــــرَاءَةَ أصـــــلُ الـــــولا

ومـــــولاكُمْ لا يخـــــافُ العِقـــــابَ فكونُـــوا لـــهُ فـــي غـــدٍ مـــوئلا

---

(١) الديوان : (٢ / ٣٧٠) .

(٢) الديوان : (٣ / ٥٣) .

وهذه الأبياتُ من الأبياتِ القويَّةِ في بيانِ حبِّهِ لآل البيتِ ، وأنَّهُ قد جعلَ مدحهُ لهُمْ ، ووِدَّهُ لهُمْ ، وفؤادهُ لهُمْ ، وإذا كانَ مهيار قد جعلَ حبَّهُ لآل البيتِ وشعرهُ في الإشادةِ بآلِ البيتِ وصَونِهم ، فإنَّهُ أيضاً قد جعلَ من هذا الشِّعرِ نافذاتٍ تفتكُ بأعداءِ آل البيتِ ، فهُو يقُول موجِّهاً الخطابَ إلى أعدائهِ " وعندي لأعدائكِم نافذاتٌ ،ٌقولي ما صاحبَ المِقولا " ، وقد أشارَ أيضاً إلى الدَّافعِ عن هذا الحبِّ بقولهِ " وفُكَّ من الشِّركِ أسرِي " ، وهو لذلك يُوالِيهِم ويتبرأُ من أعدائِهِمْ ، يقُول مهيار " أُوَالِيكُمْ ما جرَتْ مزنةٌ ، وأبرأُ ممَّنْ يُعاديكُمْ ، فإنَّ البراءَةَ أصلُ الوَلا " .

وإذا كانَ مهيارُ فيما سبقَ يكشفُ عن أسباب التَّشيُّعِ عندهُ ، فإنَّهُ أيضاً يكشفُ في كثيرٍ من شعرهِ عن كثيرٍ من الإيذاء الَّذِي تعرَّضَ لهُ ، يقُول[1] مهيار(الرجز) :

عادَيتُ فيكَ النّاسَ لَمْ أحفلْ بهِمْ حتَّى رمَونِي عن يدٍ إلّا الأقلّ

تفرَّغُوا يعترِفُونَ غيبةً لَحمي وفي مَدحِكَ عنهُمُ شُغْل

ولو يُشقُّ البحرُ ثَمَّ يلتقِي فلقاهُ فَوقِي في هواك لم أبَل

هذا ما كانَ عن الصِّراعِ المذهبيّ في شعر مهيار من الناحيةِ الموضوعيَّةِ والفكريَّةِ ، وقد أظهرَتْ هذه الدِّراسةُ مقدارَ الحبِّ الَّذِي كانَ يحملهُ لآل البيت في ظل مبادئ المذهب الشيعي ، وهذا ما جعلهُ يُصارعُ معهُمْ من أجلِ إثباتِ حقِّهِمْ

---

(1) الديوان : (٣ / ١١٥) ..

في الإمامةِ ، وقد اتَّخذَ مهيارُ كلَّ الوسائل لإثباتِ هذا الحقِّ ، فهُو يذكر مناقبَ آل البيتِ ،ومثالبَ الآخرينَ ، كما أنَّهُ يقدِّمُ براهينه في هذه القضيَّةِ الخلافيَّةِ، وهي براهينُ غير مقنعةٍ ، وكنَّا نتمنَّى ألَّا يكونَ هناكَ صراعٌ بين المسلمين من أجلِ الخلافةِ والإمامةِ ، فالخلافةُ ليسَتْ تشريفاً ، وإنَّما هي مسؤوليةٌ وأمانةٌ ، نسألُ اللَّهُ أنْ يعينَ من يحملُها بحقِّها .....

المبحث الرَّابع

التشيُّع في شعرِ مهيار

رؤية فنيَّة

أولا- اللُّغة وأثر التشيُّع فيها:

الشِّعرُ فنٌ من فُنونِ القَولِ ، وهُو قبل كلِّ شيءٍ يستلزمُ استخداماً خاصَّاً للغةِ ؛ فالنَّصُّ الشِّعريُّ نصٌ لغَويٌّ يقومُ على التَّرابطِ بين الكلماتِ مؤلِّفاً بذلك النَّصَّ ، ومن هنا تأتي خطورةُ اللَّفظِ ، والَّذِي يُعدُّ أوَّلَ خطوةٍ من خطواتِ بناءِ النَّصِّ ، فاللَّفظُ هو المادةُ الأولى في بناءِ القصيدة الشِّعريَّة، فهُو بما يثيرُهُ من أشكالٍ يمنحها الصُّورةَ ، وبما فيهِ من جرسٍ يمنحها الإيقاعَ ...(١)

وكانَ مهيارُ على وعيٍ بما تقومُ بهِ اللُّغةُ في النَّصِّ الأدبيِّ من كشفٍ وتصويرٍ ، وقد رأينا ذلكَ الإدراكَ في انتقائهِ للألفاظِ والأساليبِ الَّتِي جاءَتْ مصوِّرةً لتشيُّعه .....

والحديثُ عن اللُّغةِ وأثرِ التشيُّع فيها في شعر مهيار المذهبيّ سيكونُ من خلالِ هذه المحاور:

١ ـ التَّناسق بين اللُّغةِ ومضمون التشيُّع :

الحديث عن التشيُّع من أهم المضامينِ الفكريَّةِ الَّتِي جاءَتْ في شعرِ مهيار، ومن خلالِ قراءةِ شعر التشيُّع عند مهيار، وجدنا أنَّ مهيار كانَ مؤمناً بالحقِّ العلويِّ أو الشِّيعيِّ في الإمامةِ، وكان الشِّعرُ طريقتَهُ في

---

(١) الصُّورة الفنيَّةُ في شعرِ أبي تمَّام: عبد القادر الرّباعيّ ، (ط : الثانية) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (١٩٩٩م) ، (٩٩) ، بنية اللغة الشِّعريَّة في ديوان ترجمان الأشواق : أنوار مصطفى ، هيئة قصور الثَّقافة ، (٢٠٦) ...

الدِّفاعِ عن هذا الحقِّ ، وهذا ما جعلهُ حريصاً على اختيارِ الألفاظِ القَويَّةِ والعباراتِ الجزلةِ والأساليب المتينة ؛ فهو يعلمُ ما للشِّعرِ من قوَّةٍ وتأثيرٍ في النُّفوسِ بما وهبَ من مكوِّناتٍ و مقوِّماتٍ ومؤثِّراتٍ .....

وعندما ننظرُ في شعرِ التشيُّع عند مهيار؛ لنقفَ من خلالهِ على مدَى التَّناسقِ بين لغةِ الشِّعرِ عندهُ وبين المضمونِ الفكريِّ الشيِّعيّ ، نجدُ أنَّه كانَ دقيقاً في اختيارِ مفرداتِ اللُّغةِ ، ومتميِّزاً في انتقاءِ الأساليبِ ، ومُجيداً في استخدام المحسناتِ البديعيَّةِ وبخاصَّةٍ الطِّباقُ الَّذِي جاءَ من أجلِ إبرازِ مواقفِ القُوَى المتصارعةِ من أجل الخلافة في عصر الأمويين .. ومن شعر مهيار الَّذِي كانَ فيه هذا التَّناسقُ مرئياً قوله[1] (من المتقارب) :

وأنْـــتَ وإنْ دافعُـــوكَ الإمـــامُ وكـــانَ أبـــوك بـــرغمِ الأنـــوفِ

لِمَـــنْ آيـــةُ البـــابِ يـــوم اليهـــودِ ومن صاحبُ الجنّ يوم الخسيفِ[2]

---

(١) الديوان : (٢/ ٢٦٣) ..

(٢) وآية الباب يوم اليهود :يشير الشَّاعرُ إلى خروجِ عليٍّ رضي الله عنهُ يوم وقعةِ خيبر، فلَّما دنا من الحصنِ ضربهُ رجلٌ من اليهودِ ، فطرحَ ترسهُ من يدهِ ، فتناولَ عليٌّ باباً كانَ عند الحصنِ ، فترَّسَ بهِ نفسهُ ، فلم يزل في يدهِ وهو يقاتلُ حتَّى فتحَ اللَّهُ عليهِ ، ثمَّ ألقاهُ من يدهِ حين فرغَ ، فاجتمعَ ثمانيةٌ من أصحابهِ وحاولوا أن يقلبوا الباب فما استطاعوا ..الديوان : (٢ / ٢٦٣) ...يوم الخسيف : البئر الَّتِي تحفرُ في صخرٍ فلا ينقطعُ ماؤهُ، ويشيرُ الشَّاعرُ بذلكَ إلى ما يعتقدُهُ الشِّيعةُ من أنَّ عليَّاً ـ كرَّمَ اللَّهُ وجههُ ، قاتلَ الجنِّ وحاربَهُمْ ببئرِ ذاتِ العلمِ عندما توجَّهَ رسولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يوم الحُديبية إلى مكَّةَ ، حيثُ أصابَ النَّاسَ عطشٌ شديدٌ وحرٌّ شديدٌ ، فنزلَ رسولُ اللَّهِ ـ صلَّى اللَّهِ عليهِ وسلَّم ـ ، فقالَ : هل من رجلٍ يمضي في نفرٍ من المسلمين معهم القربَ ، فيردونَ بئرَ ذاتِ العلمِ ، ثُمَّ يعودُ يضمنُ لهُ رسولُ اللَّهِ الجنَّةَ، ثُمَّ بعثَ رجلاً من الصَّحابةِ ففزعَ من الجنِّ ، فرجعَ ،ثُمَّ بعثَ رجلاً آخرَ ، فذُعرَ من الجنِّ فرجع، ثم أرسل عليَّ بنَ أبي طالبٍ ، فنزلَ البئرَ وملأَ القربَ بعد هولٍ شديدٍ ...الديوان (٢ /٢٦٣).

ومـن جمـعَ الـدِّينَ فـي يـومِ بـدرٍ وأحـدٍ بتفريـقِ تلـك الصُّـفوفِ

وهـــدَّمَ فـــي اللهِ أصـــنامَهُمْ بمـرآى عيـونٍ عليهـا عكـوفِ

أغيـــر أبيـــكَ إمـــامِ الهُـــدَى ضـياءِ النّـدَى هزبـرِ العزيـفِ

تفلّـــلَ ســـيفٌ بـــهِ ضرَّجـــ ك ،واسـودَّ خزيـاً وجـوهُ السُّيوفِ

أتحمـــلُ فقـــدَكَ ذاكَ العظـــيمَ جوارحُ حِسمِي هذا الضَّعيـــفِ

ولـهفِـــي عليـــكَ مقـــالُ الخبيـــ رِ، أنّكَ تُبردُ حرَّ اللّهيـــــــفِ

أنشـــرُكَ مـــا حمـــل الزَّائـــرو ن، أم المسكُ خـالطَ تُربَ الطفوفِ

كـــأنَّ ضـــريحكَ زهـــرُ الرَّبيـــ عِ ، هبَّـتْ عليـهِ نسـيمُ الخريـفِ

أحـــبّكُمُ مـــا ســـعَى طـــائفٌ وحنّـــتْ مطوَّقـــةٌ فـــي الهُتُـــوفِ

وإن كنـــتُ مـــن فـــارسٍ فالشَّريـــ فُ ، معتلـــقٌ ودَّهُ بالشَّـــريفِ

رَكِبْـــتُ علـــى مـــن يعـــاديكمُ ويفسُـــدُ تفضـــيلَكمْ بـــالوقوفِ

الأبياتُ السّابقةُ من روائع ما قالَ مهيار، ومن أجمل ما قالَ مهيار في الحديثِ عن آل البيتِ الأخيارِ ، ففيها من جمال اللَّفظِ سهولتهُ وانسجامهُ ، وفيها من جمال المعنَى بهاؤهُ وحسنُ سبكهِ ، وفيها من جمالِ الصُّورةِ وضوحهُا وقربُها ، وفيها من جمال الإيقاعِ عذوبتُهُ وطِلاوَتُه ...والأبياتُ كذلكَ من أَقوَى ما قيلِ في الدِّفاعِ عن حقِّ آل البيتِ ، فمهيار هنا يتحدَّثُ عن حقٍّ وراءهُ من يطالبُ بهِ ويدافعُ عنهُ ـ كما يعتقدُ مهيار ـ ، وقد ساقَ مهيار في سبيلِ الوصول إلى غايتهِ حججاً وبراهينَ واضحة، لكنَّها لم تجدِ شيئاً في

إظهارِ الحقِّ ، وكانَ المصيرُ المحتومُ ، وقد قدَّمَ مهيار في تصويرِ هذه النِّهايةِ المؤسفةِ صوراً تحرِّكُ القلوبَ الخاليةَ ، وقد ضمَّنَ مهيار هذه الصُّورَ كثيراً من مشاعرِ الوجدِ والشَّوقِ والطَّربِ ... ونلاحظُ في الأبياتِ تعدُّدَ المضامين وتنوّعَ التَّكوينِ الفكريِّ والوجدانيّ ، وقد استطاعَ مهيار أن يحدثَ التَّناغمَ والتَّناسقَ بين هذه المضامين والمعارضِ اللَّفظيَّةِ ، وهذا ما يؤكِّدُ على قدرتِهِ الشِّعريَّةِ والفنيَّةِ ..ومثلُ هذا التَّناسقِ نراهُ في المضامين المختلفةِ ، فهُو عندما يذكرُ مناقبَ الإمامِ الَّتي تجعلُهُ جديراً بالإمامةِ يأتِي بالمفرداتِ القَويَّةِ الَّتِي تقفُ مع مهيار في موقفهِ من خلالِ دلالتها الصَّوتيةِ والمعجميَّةِ ، ومن هذه المفردات الَّتِي تضامنَتْ مع مهيار في سعيهِ قولهُ : " وإنْ دافعُوكَ ...الإمام ، وكانَ أبوكَ برغمِ الأُنوفِ ، لمن آيةُ البابِ يوم اليهود ، ومن صاحبُ الجنَّ يوم الخسيفِ ، ومن جمعَ الدِّينَ في يومِ بدرٍ وأُحدٍ بتفريقِ الصُّفوفِ ، وهدَّمَ في اللَّهِ أصنامَهُمْ " ، وتظهرُ فيما سبقَ القوَّةُ اللَّفظيَّةُ واضحةً من خلالِ تكرارِ الأصواتِ القويَّةِ الَّتِي تتناسبُ مع قوَّةِ الصِّراعِ ، ويمكنُ أن نشاهدَ ذلكَ في تكرارِ حروفِ الدَّالِ والقافِ والكافِ والباءِ ، كما تظهرُ القوَّةُ المعنويَّةُ للمفردات في هذه الكلمات : دافعوك ، جمعَ الدِّين ، بتفريقِ الصُّفوفِ ، وهدَّمَ ....وكما أظهرَتْ المفردات والعبارات السَّابقةُ قوَّةَ الصِّراعِ عند آل البيت ، أظهرَتْ كذلك قوَّةَ الصِّراعِ عند المعارضينَ ، وهذه القوَّةُ كانَتْ قوَّةً معتبرةً ؛ ولذلكَ كانَتْ نتيجةُ الصِّراعِ في صالحها في بدايةِ الأمرِ ، وقد استطاعَ مهيار أن يكشفَ عن هذه القوَّةِ الأُخرَى من خلالِ تأكيده على قوَّةِ آل البيتِ ، فهُو يقُول : " تفلَّل سيفٌ به ضرَّجوكَ " ، فالحسينُ قويٌّ والسيوفُ قويَّةٌ ، فقد ضرَّجَتْ الحسينَ بالدَّمِ ، ومع ذلكَ فقد أحدَثَتْ قوَّةُ الحسينِ في السيوفِ تصدُّعاً وتمزُّقاً ، وهذا يشي بمَدَى قوَّةِ الحسينِ

...وينتقلُ مهيار في الأبياتِ السَّابقةِ إلى مرحلةٍ أخرَى من مراحلِ الصِّراعِ بينِ آل البيتِ وبين المعارضين ، وتتمثَّلُ هذه المرحلةُ في مشاعرِ الإكبارِ والإجلالِ لآل البيتِ حتَّى في لحظاتِ الانكسارِ، وكأنَّ هذه اللَّحظاتِ ستصبحُ بعد ذلكَ بوقاً من أبواقِ النَّصرِ ، ورمزاً من رموزِ الفداءِ ، وفي هذه المرحلةِ نجدُ أنَّ ألفاظَ الصِّراعِ تأخذُ منحى آخرَ من النَّاحيةِ المعنويَّةِ ، وإنْ كانَتْ محافظةً على الطَّابعِ القويِّ المتماسكِ ، وقد تجلَّى ذلكَ في حرصِ مهيار على الأصواتِ ذاتِ الجرسِ القويِّ في هذه المفرداتِ ، فهُو يقُولُ : " كأنَّ ضريحَكَ زهرُ الرَّبيعِ ، هبَّتْ عليهِ نسيمُ الخريفِ ، أُحبّكُمُ ما سعَى طائفٌ ، وحنَّتْ مطوَّقةٌ في الهُتُوفِ " ..وهكذا استطاعَ مهيارُ أن يحدثَ في الأبياتِ السَّابقةِ المشاكلة والمماثلةَ بين جسدِ النَّصِّ وبينَ مضمونهِ في تناسقٍ وتناغمٍ وتلازمٍ ونقاربٍ وتجاورٍ...ولم يكنْ هذا الالتحامُ بين الشَّكلِ والمضمونِ خاصَّاً بهذه الأبياتِ الَّتِي معنا ، بل كانَ هذا الأمرُ ذائعاً ومطَّرداً في شعر التشيُّع عنده ، وكذلكَ في أكثرِ شعرِهِ الَّذِي كانَ بحقٍّ تعبيراً عن نفسهِ ومشاعرهِ الذَّاتيةِ والقوميَّةِ والإنسانيَّةِ .

ومن هذا التَّصالحِ والتَّطابقِ والتَّناسقِ بين اللُّغةِ ومضامين التشيُّع ما جاءَ في قصيدتهِ الدَّاليةِ الَّتِي رثَا فيها الشَّريفَ الرّضيَّ (ت : ٤٠٦ هـ) وهُو في هذه الدَّاليَّةِ يكشفُ عن مناقب آل البيتِ والَّتِي تجلَّتْ واضحةً في مناقبِ الشَّريفِ الرَّضِيِّ ، وممَّا جاءَ في هذه الدَّاليَّةِ[1] (من الكامل) :

يا ناشدَ الحسناتِ طوَّفَ فاليا عنهـا وعادَ كأنّهُ لم ينشُد

---

(١) الديوان : (١ / ٢٥٠) ...

اهبطْ إلى مضرٍ فسلْ حمراءَها ... من صاحَ بالبطحاءِ يا نارُ اخمدي

بكرَ النّعيُّ فقالَ :أردِيَ خيرُها ... إنْ كانَ يصدقُ فالرَّضِيُّ هو النّعيُّ

عادَتْ أرَاكةُ هاشمٍ من بعدهِ ... خوراً لفأسِ الحاطبِ المُتوقّدِ

فجعَتْ بمعجزِ آيةٍ مشهودةٍ ... ولرُبَّ آياتٍ لها لم تشهَدِ

كانَتْ إذا هي في الإمامةِ نوزِعَتْ ... ثَمَّ ادَّعَتْ بكَ حقّها لم تُجحدِ

رَضِيَ الموافقُ والمخالفُ رغبةً ... بكَ واقتدَى الغاوِي برأي المُرشِدِ

ما أحرَزَتْ قصباتها وتراهنَتْ ... إلّا ظهرَتْ بفضلةٍ من سؤددِ

تبعثُكَ عاقدةً عليكَ أمورَها ... وعُرَى تَميمك بعْدُ لمَّا تُعقَدُ

ورآكَ طِفلاً شيبُها وكهُولُها ... فتزحزحوا لكَ عن مكانِ السَّيِّدِ

أنفقْتَ عُمْرَكَ ضائعاً في حفظها ... وعققْتَ عيشَكَ في صلاحِ المفسدِ

كالنّارِ للسَّاري الهدايةُ والقِرَى ... من ضَوئها ودخانُها للموقِدِ

مَنْ رَاكبٌ يسعُ الهمومَ فؤادهُ ... وتُناطَ منهُ بقارحٍ متعوِّدِ

أَلِفَ التَّطوُّحَ فهْوَ ما هدَّدْتَهُ ... يَفرِي فيافِي البيدِ غيرَ مهدَّدِ

يطوِي المياهَ على الظمأِ وكأنّهُ ... عنها يضلُّ وإنّهُ للمهتدِي

صلبُ الحصاةِ يثُورُ غيرَ مودَّعٍ ... عن أهلِهِ ويسيرُ غيرَ مزوَّدِ

عُـدِلَتْ جويَّتُـهُ علـى ابـن مفـازةٍ مســتقرِبٍ أمــمَ الطَريــقِ الأبعــدِ(١)

يجـرِي علـى أثـرِ الـدِّرابِ كأنّــهُ يمشِــي علــى صــرحٍ بهِــنَّ مــرَّدِ

في هذه الأبياتِ يكشفُ مهيار عن فنِّهِ الأدبيِّ العالي وأسلوبهِ البديعِ الرَّاقِي ، والَّذِي يسمُو بهِ إلى القممِ العاليةِ في دنيا الأدب والفنِّ وبخاصَّةٍ في القديمِ ، وكيفَ لا يكونُ مهيار كذلكَ ؟ وقد ارتَّقَى إلى إمارةِ وزعامةِ الشِّعرِ بعد وفاةِ الشَّريفِ الرّضِيِّ ، وتعدُّ هذه القصيدةِ قلادةً من قلائدهِ الشِّعريَّةِ والَّتِي سارَ فيها على نهجِ الشَّريفِ الرَّضِيّ ، بل إنَّنا نرَى فيها رُوحهُ وفنَّهُ ..رأينا فيها الألفاظَ الجاريةَ والمفرداتِ العذبةَ ، والعباراتِ السَّائغةَ ، والأساليبَ الرَّشيقةَ ، لقد أرانا مهيار في هذه الأبياتَ روح الرّضيّ وروعةَ الرَّضِيّ ، ومن الغريبِ أنَّ هذه القصيدةَ جاءَتْ في رثاءِ الشَّريفِ الرّضيِّ سيِّدِ آل البيتِ والهاشميِّين ونقيبِ الطَّالبيِّين في عصرهِ .. وفي رثاءِ مهيار للشَّريفِ الرَّضِيِّ توظيفٌ لهذا الرِّثاءِ ، فقد جعلَ مهيار هذا الرِّثاءَ تدعيماً لموقفهِ من التشيُّع ، وكأنَّهُ يريدُ أنْ يقولَ : كيفَ لا يكونُ آل البيتِ أهلاً للخلافةِ وفيهِمْ الشَّريف الرَّضِيُّ؟ والأبياتُ الَّتِي معنا فيها قوَّةٌ ورصانةٌ ، وهي بلا شكٍّ قد جاءَتْ من خلالِ اللُّغةِ القويَّةِ والمعاني الصِّراعيَّةِ القَويَّةِ ، ونجدُ هذا اللُّغةَ القويَّةَ في كلِّ المضامين الفكريَّةِ الَّتِي جاءَتْ في السِّياقِ السَّابقِ ، نراها في حديثهِ عن نعِي الشَّريف ، فهُو يقول : " أُردِيَ خيرُها ، فالرَّضِيُّ هو الرَّدِي ، عادَتْ أراكةُ هاشمٍ من بعدهِ ، خوراً لفأسِ الحاطبِ المتوقِّدِ " ، ونراها أيضاً في حديثهِ عن نضالِ الشَّريفِ من أجلِ بلوغِه إلى

---

(١) الجويَّةُ: الأرض غير الموافقة ...

ذروةِ هاشم ، ولقد كانَ الرَّضِيُّ في الذُّوَابةِ من هاشمٍ ، ومن المفرداتِ الَّتِي جاءَ بها مهيار ليُصوِّر بها َصراعَ الرَّضِيِّ من الإمامةِ والزَّعامةِ ما جاءَ في قولِهِ : " أَنفَقْتَ عمركَ ضائعاً في حفظها ، وعققْتَ عيشك في صلاحِ المفسدِ ، ورآكَ طفلاً شِيبُها وكهولُها فتزحزحوا لك عن مكانِ السَّيِّدِ " ..وهكذا كانَتْ اللُّغةُ مصوِّرةً للنضال من أجلِ الإمامةِ ، وكيفَ جاهدَ الرَّضِيُّ من أجلها ؟ وكيفَ ارتضاه الموافقُ والمخالفُ ، وهذا يدلُّ على أصالة الرَّضِيِّ في مناقبِهِ وأخلاقِهِ ، وبذلكَ تكاملَتْ اللُّغةُ واستطاعت أن تصوِّر حقيقة التشيُّع عند مهيار ، وكيف استطاع مهيار أن يبرز ما دار حول هذا التشيُّع من صراعات دامية في زمن الأمويين ، وهذا يكشفُ عن عمقِ الصِّراعِ الَّذِي كانَ دائراً بينَ أبناءِ الأُمَّةِ في هذا العصرِ ، وكذلكَ بينَ أبناءِ الشَّجرةِ الواحدةِ من أجلِ الإمامةِ والخلافةِ ....

وإذا كانت مضامين التشيُّع قد أثَّرَت في اللغةِ وظهرَ ذلك في حرصِ مهيار على الألفاظِ القويَّةِ الَّتِي تؤكد على حق الشيعة في الخلافة ، فقد كان لهذه المضامين تأثيرٌ آخرُ في اللَّغةِ ، وقد تجلَّى هذا الأَثرُ في إكثارِ مهيار من الألفاظِ الَّتِي كانَتْ تدلُّ على معنَى الصِّراعِ . وهذا يدلُّ على أنَّ الصِّراعَ من أجلِ الخلافةِ كانَ هدفاً وغايةً ...فقد كانَ مهيار في شعر التشيُّع يكثرُ من هذه المفردات ، ونستطيعُ من خلالِ شعرِ مهيار أن نقفَ على ذلكَ دونَ جهدٍ أو عناءٍ . ومن شعر مهيار الَّذِي أكثرَ فيهِ من ألفاظِ الصِّراعِ قولهُ[1] (من الخفيف) :

---

(١) الديوان : (٣ / ١٦) ...

لي في الشَّيبِ صارفٌ ومن الحُز ... نِ، علـــى أحمـــدٍ إشـــغالُ

معشرِ الرُّشدِ والهُدَى ، حكمَ البَغـ ... يُ، علـيهِمْ سـفاهةٌ والضَّـلالُ

ودعـاةُ اللهِ اسـتجابَتْ رجـالٌ ... لهـمُ ثَـمَّ بُـدِّلُوا فاسـتحالُوا

حملَـوا يـومَ السَّـقيفةِ أوزا ... راً تخِـفُّ الجبـالُ وهِـي ثقـالُ

ثَـمَّ جـاءُوا مـن بعـدِها يستقيلُو ... نَ ، وهيهـاتَ عثـرةٌ لاتُقـالُ

يـا لهـا سـوءةً إذا أحمـدٌ قـا ... مَ غـداً بيـنَهُمْ فقـالَ وقـالُوا

ربـعُ همِّـي علـيهِمُ طلـلُ بـا ... قٍ ، وتبلَـى الهمـومُ والأطـلالُ

يـا لقـومٍ إذا يقتلـون عليَّـا ... وهْـو للمحْـلِ فـيهمُ قتَّـالُ

ويُسـرُّونَ بغضـهُ وهْـوَ لا تُقـ ... ـبلُ إلّا بحبِّـهِ الأعمـالُ

وتحـالُ الأخمـارُ واللهِ يـدرِي ... كيـفَ كانَـتْ يـومَ الغـديرِ تُحـالُ

ولسِـبطينِ تابعيـهِ فمسْـمو ... مٌ عليـهِ ثَـرَى البقيـعِ يُهـالُ

درسُـوا قبـرَهُ ليخفَـى عـن الـزَّو ... وار، هيهـاتَ كيـفَ الهـلالُ

وشـهيدٍ بـالطفِّ أبكَـى السـموا ... تِ ، وكـادَتْ لـه تـزولُ الجبـالُ

يـا غليلـي لـهُ وقـد حُـرِّمَ المـا ءُ ، عليـهِ وهـو الشَّـرابُ الحـلالُ

قطعَـتْ وصـلَةَ النّبـيِّ بـأنْ تُقـ ـطـعَ مـن آل بيتـهِ الأوصـالُ

في الأبياتِ قامَتْ اللُّغةُ بدورهَا المنُوطِ بها في الكشفِ عن الصِّراعِ المذهبيِّ ، وقد استطاعَتْ اللُّغةُ تصويرَ هذا الصِّراعِ تصويراً بارعاً ، تجلَّتْ في هذا التَّصويرِ المراحلُ الَّتِي مرَّ بها الصِّراعُ من أوَّلهِ إلى آخرهِ ، وقد سارَتْ الألفاظُ الصِّراعيَّةُ في الأبياتِ السَّابقةِ في اتِّجاهينِ ، اتجاه يكشفُ عن اغتصابِ الخلافةِ من آل البيتِ ، واتجاه آخر يكشفُ عن الفظائعِ الَّتِي ارتكبَتْ في حقِّ آل البيتِ ، وفي السياقِ الأوَّلِ نرَى هذه الألفاظِ الَّتِي تحملُ الصِّراعَ في طَيَّاتِها وأجوائِها، وهي : " حكمَ البغيُ عليهم سفاهةً والضَّلالُ ، حملوها يوم السَّقيفةِ ، ثُمَّ جاءُوا من بعدها يستقيلون ، وهيهات عثرةٌ لاتُقالُ ، أحمدٌ قامَ غداً بينهم فقالَ وقالُوا " ، وفي السِّياقِ الآخر نراهُ يقول :"يقتلون عليًّا ، وهو للمحْلِ فيهمُ قتَّالُ ، فمسمومٌ عليه ثرَى البقيعِ يُهالُ ، درسوا قبرهُ ليخفَى عن الزُّوَّارِ، وشهيدٍ بالطَّفِّ أبكى السَّمواتِ، وكادَتْ لهُ تزولُ الجبالُ " ....

وتقابلنا ألفاظُ الصِّراعِ كثيراً في شعرِ مهيار،ومن ذلكَ ما جاءَ في قولهِ[1] (من الرجز) :

والأمـويُّ مـا لـهُ آخّـرَكم وخـصَّ قومـاً بالعطـاءِ والنّفـلِ

(١) الديوان : (٣ / ١١٢) ...

وردَّهـــا عَجمـــاءَ كســـرويَّة يضـاعُ فيهـا الـدِّينُ حفاظـاً للـدِّول

ثَـــمَّ قسَـــمْتَ بالسَّـــواءِ بيـــنهم فعظَـــمَ الخطـــبُ علـــيهِمْ وثقَـــل

فشُـــحذَتْ نلـــك الظِّبـــا وحفـــرَتْ تلـكَ الزَّبَـى وأضـرِمَتْ تلـك الشَّـعلْ

٢ـ اللُّغة وشخصيات الصراع :

كـانَ هُنـاكَ صراعٌ محتدمٌ بين الشِّيعةِ والمعارضـينَ ، وقد كشفَتْ اللُّغـةُ عن التَّناسـقِ بين اللُّغـةِ ومضـمونِ التشيُّع ، كمـا أنَّهـا تكشـفُ عن الشِّخصياتِ المتصارِعةِ ، فقد رأينا مهيار في شعر التشيُّع يكثِّفُ من ذكرِ هذه الشِّخصياتِ ، وبخاصَّـةٍ الشَّخصياتُ الشِّيعيَّةُ ، وكـانَ مقصدُه من ذكرِ هـذه الشِّخصـيَّاتِ ، هـو تـدعيمُ الحـقِّ الشِّـيعيِّ فـي الخلافـةِ .هـذا وسـيكونُ الحديثُ عن شخصياتِ الصِّراعِ من خلالِ محورينِ :

أ ـ الشَّخصيات الشِّيعيَّة في لغة الصِّراع:

أكثـرَ مهيـارُ فـي شـعر التشيُّع مـن ذكـرِ الشَّخصـيَّاتِ المُعضِّـدَةِ للموقـفِ الشِّيعيِّ في الإمامـةِ ، ومن هذه الشَّخصياتِ شخصيَّةُ النَّبـيِّ ـــ ﷺ ـــ ، فقد كـانَ مهيار حريصاً على ذكرِ اسمِ النَّبـيِّ الكريمِ في شعرِ الصِّراعِ ، أو ذكرهِ بصفةِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ ، ومن شعرِ مهيار[1] (من الرجز) :

ومـــا لقـــومٍ نـــافقُوا محمَّـــداً عُمـــرَ الحيـــاةِ وبغَـــوا فيـــهِ الغيـــل

(١) الديوان : (٣ / ١١٣) .

وتـــــابعُوه بقلـــــوبٍ نـــــزلَ ال فرقـــانُ فيهـــا ناطقـــاً بمـــا نـــزل

مـــاتَ فلـــمْ تنعَـــقْ علـــى صـــاحبِهِ ناعقـــةٌ مـــنهُمْ ولـــم يُـــرغِ جمـــل

فهُو يربِطُ بينَ النَّبيِّ وبينَ حقِّ آل البيتِ في الخلافةِ ، فهُو يصفُ المعارضينِ بالنِّفاقِ ؛ لأنَّهُمْ لو كانُوا صادقينَ ـ كما يرَى مهيار ـ ما أخذوا الخلافةَ منهُمْ ، وما فعلُوا بالإمامِ عليِّ ما فعلُوا ، ومهيارُ أرادَ أن يُعظِّمَ من الجُرمِ الَّذِي ارتكبَ في حقِّ آل النَّبيِّ ، فما حدثَ لآل البيتِ ، لا يُرضِي النَّبيّ ؛ لأنَّ القرآنَ قد نطقَ بحقِّهِمْ ..ويأتي اسم النَّبيِّ في شعر مهيار كثيراً ، ومنهُ أيضاً [1](من الكامل) :

خلـــعَ الأمانـــةَ فارتـــدَى بمعـــرَّةٍ وسَـــمَتْ جبـــاهَ التَّـــابعينَ مخازيـــا

وأحـــقَّ بـــالتَّمييزِ عنـــد محمَّـــدٍ مـــن كـــانَ سَـــامَى منكِبيـــهِ راقيـــا

وأبـــرَّهُمْ مـــن كـــانَ عنـــهُ مُوفِيـــاً حوبـــاءَهُ فـــوق الفـــراشِ وفاديـــا

كما يأتي ذكرُهُ بصفةِ النبوَّةِ كثيراً ، ومن ذلك[2] (من المتقارب) :

أَاللّهَ يـــا قـــومُ يقضِـــي النّبـــيِّ مطاعـــاً فَيعصَـــى ومـــا غَسِّـــلا

كما يأتي ذكرهُ بصفةِ الرِّسالةِ ، ومن ذلك قولـه[3] (من البسيط) :

هـذي قضـايا رسـولُ اللّهِ مهملـة غـدراً وشـملُ رسـولِ اللّهِ منصـدعُ

---

(١) الديوان : (٤ /٢٠١) ..
(٢) الديوان : (٣ / ٥٠) ..
(٣) الديوان : (٢ / ١٨٢) ..

والنّاسُ للعهدِ ما لاقَوا وما فرُبُوا وللخيانـةِ مـا غـابُوا ومـا شسـعُوا

ويأْتِي ذكرهُ بإضافةِ آلِ إليهِ ، ومن ذلكَ قولهُ[1] (من الخفيف) :

لي في الشَّيبِ صارفٌ ومن الحُز نِ ، علـــى آل أحمـــدٍ إشـــغالُ

معشر الرَّشد والهُدَى حكَم البَغـ يُ، علـــيهم ســـفاهةَ والضَّـــلال

وكلُّ ما سبقَ من ذكرٍ لاسم النَّبيِّ كانَ من أجلِ التَّأْكيدِ على حقِّ آل البيتِ في الإمامةِ ..

وكذلكَ أكثرَ مهيار من ذكرِ اسمِ الإمامِ عليٍّ وكنيتِهِ ولقبِهِ ، وكانَ ذلكَ من أجلِ التَّأْكيدِ على أنَّهُ الإمام والوصيُّ بعد النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ومن شعرِ مهيار الَّذِي ذكرَ فيه الإمامُ عليٌّ قولهُ[2](من البسيط):

وقائـل لـي علـيٌّ كـانَ وارثـهُ بالنّصِّ منهُ فهلْ أعطَوه أم منعُـوا

فقُلْتُ كانَتْ هنـاتٌ لستُ أذكرُها يجـزي بهـا اللّهُ أقوامـاً بمـا صـنعُوا

وقوله[3] (من الخفيف) :

يـــا لقـــومٍ إذ يقتلَـــونَ عليَّـــاً وهْـــوَ للمَحْـــلِ فـــيهِمْ قتّـــالُ

ويُسِّـرُونَ بغضَـهُ وهْـو لا تُقّـ بـــــلُ إلّا بحبِّـــــهِ الأعمـــــال

---

(١) الديوان : (٣ /١٦) ..
(٢) الديوان : (٢/ ١٨٣)..
(٣) الديوان : (٣ / ١٦) ..

وقولهُ[1](من الرجز) :

سـمعاً أميـر المـؤمنين إنّهـا كنايـةَ لـم تـكُ فيهـا منتحِـل
مـا لقـريشٍ ماذَقْتَـكَ عهـدَها ودامجَتْـكَ ودَّهـا علـى دخـلْ

ومن الشَّخصياتِ التي يغالي في حبها الشِّيعةِ والَّتِي جاءَتْ كثيراً في شعرِ مهيار شخصيَّةُ الحسين، وقد تحدَّثَ مهيارُ عنها كثيراً في شعرهِ ، وهُو في هذا الشِّعرِ يصوِّرُ تصويراً مؤلماً ما حدثَ لهُ في موقعةِ كربلاء على يد الأمويِّينَ ، وهو يؤكِّدُ على حقِّهِ في الإمامةِ بعد الإمامِ الحسن .. ومن شعرِ مهيار الَّذِي ذكرَ فيهِ اسم الحسين قولهُ [2](من المتقارب) :

ولـيسَ صـديقيَ غيـرَ الحـزين ليـوم الحسـين وغيـر الأسـوفِ
هـو الغصـنُ كـانَ كمينـاً فهـبَّ لـدَى كـربلاء بـريحِ عصـوفِ

وهناك شخصيات كثيرةٌ من شخصياتِ آل البيت تأتي في شعرِ مهيارٍ من أجلِ التَّأكيدِ على حقِّ آل البيت في الخلافةِ ومنها :هاشم ، العبَّاس ، سلمان ، فاطمة .....

ب ـ الشَّخصيَّات المعارضة في شعرِ التشيُّع لدي مهيار :

أشارَ مهيار في شعرهِ إلى كثيرٍ من الشَّخصياتِ المعارضةِ لفكرةِ الإمامةِ في آل البيتِ ـ كما يرَى مهيار ـ ، ومن هذه الشَّخصياتِ الَّتي جاءَتْ : أُميَّة ، عديّ ، تَيم ، ابن عفَّان ، قريش ، كسرويَّة ، ابن هند .....

---

(١) الديوان : (٣ / ١١٢) .
(٢) الديوان : (٢/ ٢٦٣) ..

وقد جاءَ ذكرُ هذه الشَّخصيات مرتبطاً بفكرةِ اغتصابِ الإمامة ، ومن شعر مهيار الَّذِي ذكرَ فيه بني أُميَّةَ وما قاموا به في حقِّ آل البيت ، قوله[1] (من المتقارب) :

أميَّـــةَ لابســـةً عارهـــا وإنْ خفِـــيَ الثَّـــأرُ أو حُصِّـــلا
فيـــومُ السَّـــقيفةِ يـــابنَ النّبيـــ ي ، طـــرَّقَ يومَـــك فـــي كـــربلا
وغصـــبُ أبيـــكَ علـــى حقِّـــه وأُمِّـــكَ حسَّـــنَ أن تُقـــتَلَا

وقوله أيضا[2] (من المتقارب) :

ومـــدَّتْ أميَّـــةُ أعناقهـــا وقـــد هُـــوِّنَ الخطـــبُ واستُســـهلا
فنـــالَ ابـــنُ عفّـــانَ مـــا لـــم يكـــن يُظـــنَّ ، ومـــا نـــالَ بـــل نُـــوِّلا
فقـــرَّ وأنعـــمُ عـــيشٍ يكـــو نُ مـــن قبلـــهِ خشـــناً قَلقَـــلا
وقلّبهـــا أردشـــيريَّةً فحـــرَّقَ فيهـــا بمـــا أشـــعلا
وســـارُوا فســـاقوه أو أوردوه حيـــاضَ الـــرَّدَى مـــنهلاً مـــنهلا
ولمَّـــا امتطاهـــا علـــيٌّ أخـــو كَ ، ردَّ إلـــى الحـــقِّ فاســـتثقِلا

٣ ـ اللُّغة وتصوير الأماكن المرتبطة بالأحداث الشيعية:

أكثرَ مهيار في شعرهِ من ذكر الأماكن التاريخيَّة التي تأتي كثيرا في شعرهِ ، وهذه الأماكن تجمعُ بين الدَّلالةِ على المكانِ والدَّلالةِ على الزَّمانِ ،

---

(١) الديوان : (٣/ ٥٠) ..
(٢) الديوان : (٣ /٥١) ..

كما أنَّ هذه الأماكنَ منها ما يشيرُ إلى انتصاراتٍ قامَ بها أبطالٌ من آل البيتِ ، وقد كانَتْ هذه الانتصاراتُ مصدراً من مصادرِ الفرحِ عند آل البيتِ والشِّيعةِ ، ومنها ما يشيرُ إلى انكساراتٍ ، كانَتْ هذه الانكساراتُ مصدراً من مصادرِ الألمِ عند آل البيتِ والشِّيعةِ على مرِّ التَّاريخِ ...

ومن الأماكن الَّتِي يعتزُّ بها الشِّيعةُ :بدر، أحد ، الخندق، خيبر ، الجمل ، صِفَّين ..ومن الأماكن الَّتِي تعدُّ من أسبابِ الحزنِ عند الشِّيعةِ : الغَدير ، غدير خَم ، يوم السَّقيفة ، الطَّفّ ، كربلاء ...

ومن شعر مهيار الَّذِي أكثرَ فيهِ من ذكرِ الأماكنِ التاريخيَّة ، وكانَتْ أيضاً من مصادرِ الفرحِ والفخرِ عند آل البيتِ قولهُ [1](من المتقارب) :

وهـــذا الكتـــابُ وإعجـــازهُ ... علـى مَـنْ ؟ وفـي بيـتِ مَـنْ نُـزِّلا

وبـدرٌ و بـدرٌ بـهِ الـدِّينُ تمـــ ... م، مـــن كـــانَ فيـــهِ جميـــلَ الـــبلا

ومـــنْ نـــامَ قـــومٌ ســـواهُ ... ومـــن كـــانَ أفقـــهَ أو أعـــدَلا

بمـن فَصِـلَ الحكـمُ يـوم الحُنـين ... فطبَّـــقَ فـــي ذلـــكَ المفصِـــلا

وقوله [2](من الكامل) :

وهـبِ الغـديرَ أبَـوا عليـهِ قبولـه ... نـهيـاً ؟ فقُـلْ عُـدُّوا سـواهُ مسـاعيا

---

(١) الديوان : (٣ / ٤٩) ..

(٢) الديوان : (٤ / ٢٠٠) ..

بدراً وأحداً أختها من بعدها وحُنـــينَ وقّـــاراً بهـــا فِصـــاليا

والصَّخرة الصَّمَّاء أخفَى تحتَها مـــاءً وغيـــر يديـــهِ لـــم يـــكُ ســـاقياً

وتـــدبَّرُوا خبـــرَ اليهـــودَ بخيبـــرٍ وارضوا بمرحبَ وهو خصمٌ قاضيا

وكذلك أكثر مهيار في شعرهِ من الأماكن الَّتِي كانَتْ تبعثُ في نفوسِ الشِّيعةِ الحزنَ والألمَ ، ومن هذا الشِّعر ما جاءَ في شعرِ مهيار[1](من الرَّمل) :

يابنـــــةَ الطَّـــاهرِ كَـــمْ تُقـــ شَـــــرُ بـــــالظُلمِ عصـــــاكِ

غضـــــــبَ اللّهُ لخطـــــــبٍ ليلـــــةَ الـــــطَّفِّ عـــــراكِ

ومنهُ أيضاً في قوله[2] (من البسيط) :

تضـاعُ بيعتُـهُ يـومَ الغـدير لهُـم بعـد الرِّضـا وتحـاطَ الـرُّوم والبيـعُ

ومنهُ قوله [3](من البسيط) :

واسألْهُمْ يوم خُمّ بعد ما عقدوا لـه الولايـةَ لـمْ خـانُوا ولِـم خلعُـوا

قـولٌ صـحيحٌ ونيَّـاتٌ بهـا نَغـلَ لا ينفـعُ السَّـيفَ صَـقلٌ تحتـهُ طبـعُ

والَّذِي جعلَ هذه الأماكنَ والأيَّامَ مصدرَ حزنٍ ، أنَّ بعضها وهو كربلاء والطَّفّ يُذكِّرُهم بمقتلِ الحسينِ ، والبعض الآخر وهو الغدير أو خُمّ يُذكِّرُهُمْ باغتصابِ الخلافةِ منهمْ كما يدَّعُون...

---

(١) الديوان : (٢ / ٣٦٩) ..
(٢) الديوان : (٢ / ١٨٢) ...
(٣) الديوان : (٢ / ١٨٣) .

٤ ـ اللُّغة وقيم التشيُّع :

كشفَتْ اللُّغةُ عن نوعينِ من القيمِ ، قيم إيجابيَّةٍ وقيمٍ سلبيَّةٍ ، وقد جعلَ مهيار القيمَ الإيجابيَّةَ في جانبِ آل البيتِ ، والقيم السَّلبيَّةِ في جانبِ المعارضينَ لهُمْ ؛ لأنَّهُ أرادَ من خلالِ شعرهِ في التشيُّع ، أنْ يكونَ الحقُّ مع آل البيتِ .... ومن شعر مهيار الَّذِي تكشفُ فيهِ اللُّغةُ عن هذاالتباين القِيميِّ قولهُ[1] (من الطَّويل) :

بنفسيَ من كانَتْ مع اللهِ نفسُه إذا قلَّ يوم الحقِّ منْ لَمْ يُجازفِ

واللُّغةُ في البيت تكشفُ عن الصِّراعِ بين القيمِ الإيجابيَّةِ والقيمِ السَّلبيَّةِ ، فهُو يتحدَّثُ في الشَّطرِ الأوَّلِ عن الإمامِ عليٍّ ، وقد ذكر فيه قيمةً من القيمِ الأساسيَّةِ والجوهريَّة في شخصيَّةِ الإمام ، وقد تمثَّلَتْ هذه القيمةُ في قولهِ " من كانَتْ مع اللَّهِ نفسُه " ، وهي قيمةٌ عظيمةٌ من قيمِ الإمامِ ، فقد كانَتْ حياتُه كلُّها للَّهِ ومع اللَّهِ ،وقد رأينا ذلك جليَّاً في حياتهِ ، فلو لم يكنْ الإمامُ بهذه القوَّةِ الإيمانيَّةِ ، ما رأيناهُ بهذه العظمةِ في ليلةِ الهجرةِ ، ولا في يومِ بدر وخيبر، فهذه المواقفُ تدلُّ على صدقِ الإمامِ عليٍّ في قيمهِ الصَّادقةِ، وبعد أنْ عرضَ مهيارُ لهذه القيمةِ الإيجابيَّةِ عند الإمامِ عليٍّ ، قامَ بعرضِ ما يقابلها من القيمِ السَّلبيَّةِ ، ويظهرُ ذلكَ في قولهِ " إذا قلَّ يومَ الحقِّ من لم يجازفِ " ، وبذلكَ استطاعَ مهيار من خلالِ اللُّغةِ أن يُقدِّمَ هذه القيمَ المتصارِعةَ ، وأن يكشفَ أيضاً من خلالِ هذه اللُّغةِ عن القيمِ الباقيةِ والخالدةِ والغالبةِ ...ونرَى هذا الدَّورَ الجليَّ من اللُّغةِ في عرضِ هذا

---

(١) الديوان : (٢ / ٢٦٠) ..

الصِّراعِ القيميِّ والَّذِي يقوِّي من رأي مهيار في قضيَّةِ الصِّراعِ المذهبيّ في قولِ مهيار [1](من الطويل) :

نَـوَى الغَدرَ أقـوامٌ فخـانُوكَ بعدَهُ وما آنـفٌ فـي الغَـدرِ إلّا كسـالفِ

سـلامٌ علـى الإسـلامِ بعـدَكَ إنّهُـم يسـومون بـالجَورِ خُطَّـةَ خاسـفِ

وأغرَى بكَ الحسَّادَ أنّكَ لم تكُنْ علـى صـنمٍ فيمـا روَوهُ بعـاكفِ

وكنتَ حصَانَ الجيبِ من يدِ غامرٍ كذاكَ حصانَ العِرضِ من فمِ قاذفِ

الأبيات تعرضُ قيما متصارعةً من خلالِ اللُّغةِ ، ففي جانبٍ نرَى الغدر،و الخيانة والجَور، والحسَّادَ ، وفي الجانب الآخر نرَى حصانَ الجيب ، وحصانَ العرضِ ، ولاشكَّ أنَّ ذكرَ القيمِ المتصارعةِ في هذا الشَّكلِ اللُّغويِّ ، يُعلي من شأنِ القيمِ الإيجابيَّةِ ، وهذا بلا شكٍّ في صالحِ رأي مهيار في الصِّراعِ المذهبيّ في عصرهِ ...

٥ـ دلالات التَّراكيب والأساليب الناطقة بتشيُّع الشاعر:

تعدَّدت التَّراكيبُ والأساليبُ في البناءِ اللُّغويِّ الشِّعريِّ ، لكن من خلالِ قراءةِ البناءِ اللُّغويِّ عند مهيار وبخاصَّةٍ في شعر التشيُّع ، نجدُ أنَّه قد أكثرَ في هذا الشعر من الأساليبِ الخبريَّةِ بشتَّى صورها ، وقد كانَ في هذا الانتقاءِ التَّركيبيِّ تأيِّيدٌ لرأيهِ في قضيَّةِ الصِّراعِ . فالأسلوبُ الخبريُّ

(١) الديوان : (٢ / ٢٦١) ..

بطبيعتِهِ يدلُّ على وقوعِ الأخبارِ، لكن تبقَى بعد ذلك قضيَّةُ الصِّدقِ والكذبِ في هذه الأخبارِ ، والشَّاعرُ بما أُوتِيَ من شاعريَّةٍ وأدواتٍ تعبيريَّةٍ ، يستطيعُ أنْ يُرسِّخَ لهذه الأخبارِ في قلوبِ السَّامعينِ والمتلقِّين . ولقد كانَ مهيار مدركاً لقيمة الأسلوبِ الخبريِّ في الإعلانِ عن مذهبِهِ والدَّعوةِ إليهِ ؛ ولذلكَ كانَ هذا الحرصُ منهُ على الأسلوبِ الخبريِّ ، فهو يتناول قضيَّةً صراعيَّةً قديمةً وإنْ كانَتْ ماضيةً ، وهو يريدُ أن يقنعَ الآخرينَ برأيهِ واعتقاده في التشيُّع ، فقد رأيناهُ في شعرِهِ الشيعيِّ يتحدَّثُ عن حقِّ آل البيتِ في الإمامةِ ، ومن أجلِ هذا ذكرَ في شعرِهِ كثيراً من المناقبِ الَّتِي اتَّصفَ بها آلُ البيت ، وقد جاءَ بها في صورةِ الخبر ؛ لأنَّ الخبرَ هو الأقدرُ على تحقيقِ مرادِ الشَّاعرِ ، فالأخبارُ تدلُّ على القدمِ والأصالةِ والثبوتِ والتَّجدُّدِ ....وكما جاءَ مهيار بالمناقبِ في صورة الخبرِ ، جاءَ كذلكَ بالمثالبِ في نفسِ الصُّورةِ؛ ليؤكِّدَ على قدمِ هذه المثالبِ ...

وإذا كانَتْ الأساليب الخبريَّةُ هي السَّائدةُ في شعرِ التشيُّع عند مهيار ، فإنَّ هذا لا يعنِي خلو الشِّعرِ المذهبيِّ عند مهيار من الأساليبِ الإنشائيَّةِ ، فقد جاءَتْ هذه الأساليبُ في شعرِهِ المذهبيِّ أيضاً ، ولكنَّها قد جاءَتْ على استحياءٍ ، وسوف يظهرُ هذا فيما سيأتي من شعرٍ ....

يقول مهيار[1] في ذكر مناقب آل البيت (من المتقارب) :

بنفسِـــي نجـــومَهُم المُخمَـــداتِ ويـــأبَى الهُـــدَى غيـــر أن تُشـــعَلا

وأجســـامَ نـــورٍ لهـــم الصَّعيـــ د، تملـــؤه فيضـــيء المـــلا

(١) الدِّيوان : (٣ / ٤٩) ..

بـبطنِ الثَـرَى حمـلُ مـا لـمْ تُطِـقْ على ظهرِهـا الأرضُ أن تحمـلَا

تفـيضُ فكانَـتْ نَـدى أبحـرا وتهـوِي فكانَـتْ عُـلا أجـبُلا

والأبياتُ فيها بعضُ مناقب آل البيت ، فهُم هدى ونورٌ وندَى ، وقد جاءَ مهيار بهذه المناقب في صورةِ الخبرِ ، فهو يقول : " ويأبَى الهُدَى ، وأجسام نور تملؤه ، تفيضُ فكانَتْ ندى أبحرا ، وتهوِي فكانَتْ عُلا أجبلا " ، فالأخبارُ تدلُّ على الوقوعِ ، كما أنَّها تدلُّ على التجدُّدِ ، وهذا ما قامَتْ بهِ صيغةُ المضارعِ في هذه الأبياتِ ، فقد جاءَتْ ثلاثَ مرَّاتٍ ، ولقد كانَ مهيار دقيقاً في اختيارِ الأسلوبِ الخبريّ واختيار المضارعِ من بين الأساليبِ الخبريَّةِ ....

ويسيرُ مهيار على هذا المنهجِ في شعرِ التشيُّع ، ومن هذا ما جاءَ في قولهِ[1] (الرَّجز) :

الطَّيِّبُـونَ أزُراً تحـت الـدَّجَى الكـائنون وزراً يـومَ الوَجَـل

والمنعمـونَ والثَـرَى مقطَـبٌ مـن جدبـهِ والعـامُ غضـبانَ أزِلْ

خيـرُ مصـلٍّ ملَكـاً وبشـراً وحافيـاً داسَ الثَـرَى ومنتعِـل

هُـمْ وأبُـوهُمْ شـرفاً وأمّهُـم أكـرمُ مـن تحـوِي السَّـماءُ وتُظِـلُّ

لا طلقـاءَ مـنعمٌ علـيهمُ و لا يحـارُون إذا النّاصـرُ قـلّ

---

(١) الديوان : (٣ / ١١١) .

والأبياتُ تشيرُ إلى مناقب أُخرَى من مناقب آل البيت ، فهم طيِّبُون، ومنعمون ، وكائنون وزراً وهُم خيرُ مصلٍّ وحافٍ داسَ الثَّرَى ، وقد جاءَتْ هذه المناقبُ في صورةِ الخبرِ ، ولا شكَّ أنَّ مجيءَ هذه المناقبِ في صورةِ الخبرِ قد أكدَّ على وجودِ هذه المناقب في آل البيتِ ، وقد رسَّخَ من هذا المعنَى مجيءُ هذه المناقبِ في صورةِ اسم الفاعل ؛ واسم الفاعل يدلُّ على التحقُّقِ والثُبُوتِ والاستمرار ....

ثانيا ـ التَّصوير وتجسيد التشيع في تجربة مهيار:

الشَّاعرُ المتمكِّنُ من تجربتهِ هُو الشَّاعرُ الَّذِي يكونُ قادراً على اختيارِ الأدواتِ التَّعبيريَّةِ والتَّصويريَّةِ الَّتِي تتوافقُ مع تجربتِهِ وحالتِهِ الشُّعوريَّةِ والنَّفسيَّةِ ؛ حتَّى يكونَ لتجربتِه وقعٌ وصدى وبقاءٌ ...وقد كانَ مهيار في اختيار أدواتهِ التَّصويريَّةِ على درجةٍ كبيرةٍ من الإدراكِ لطبيعةِ شعرهِ وبخاصَّةٍ فيما يتعلَّقُ بشعر التشيُّع ، فقد رأيناه في شعرِه يكثرُ من استخدامِ المجازِ وبخاصَّةٍ المجازُ الاستعاريُّ ؛ وذلكَ لأنَّ الاستعارةَ " هي الَّتِي تلائِمُ ثورةَ العاطفةِ وحدَّةَ الوجدانِ ، فتخرج الكلماتُ ملتهبةً حادَّةً ؛ بفضلِ ما في الاستعارةِ من تركيزٍ وإيجازٍ يُعطِي التَّعبيرَ قوَّةً ، وفي أثناءِ ذلِكَ يتحوَّلُ الشَّاعرُ إلى ما يشبه صانعاً جديداً للغةِ ، فهُو يسمِّي الأشياءَ بغيرِ أسمائِها ، ويصفها بصفاتِ أسماء أخرى ، معبِّراً عن علاقاتِ فكريَّةٍ جديدةٍ ، علاقات تدمجها في المعنَى الكلِّي للكونِ ..[1].." .كما رأيناه يكثرُ كذلك من الصُّورِ الكليَّةِ ، وقد ظهرَتْ هذه الصُّورُ في القصصِ التَّاريخيّ الَّذِي جاءَ واضحاً في الحديثِ عن مناقب آل البيتِ ومثالب المعارضين...

(١) في النقد الأدبيّ : شوقي ضيف ، (ط : دار المعارف) ، (١٦٩) ..

والحديث عن التَّصوير وأثرِ التشيُّع فيهِ سيكونُ من خلالِ هذين المحورين:

المحور الأوَّل ـ التشيُّع والتَّصوير بالاستعارة:

كما سبقَ أن قلنا إنَّ الاستعارةَ من أقدر الألوانِ البيانيَّة على تجليةِ المشاعرِ والعواطفِ الثَّائرةِ وإبرازها ؛ ولذلك جاءَ هذا اللَّونُ البيانيُّ بصورةٍ مكثَّفةٍ ومقصودةٍ في كثيرٍ من شعرِ التشيُّع عند مهيار ، وهذا يكشفُ عن قوَّةِ المشاعر الَّتِي عاشها مهيار ، وقوَّةِ المشاعرِ الَّتِي كانَ يحملها مهيار في قلبهِ لآل البيتِ ، وقوَّةِ العقيدةِ المذهبيَّةِ في إيمانهِ الفكريِّ بهذه القضيَّةِ الَّتِي كانَ عاشَ وفيَّاً لها في شعرهِ كلِّهِ وبخاصَّةٍ في شعر التشيُّع .

ويمكنُ لنا أنْ نقفَ على الثَّورةِ الوجدانيَّةِ والشُّعوريَّةِ والتي استدعَتْ هذا الشَّكلَ البلاغيَّ في اللَّاميَّةِ المضمومةِ ، وهي قصيدةٌ طويلةٌ جاءَتْ في اثنين وأربعين بيتاً ، وقد تحدَّثَ مهيارُ في اللَّاميَّةِ عن آل البيتِ ، وقد عنونَ لها محقِّقُ الدِّيوانِ بعنوان " وقال يرثي آل البيت " ، وما دامَتْ القصيدةُ في الرِّثاءِ ، فلابدَّ أنَّ هناكَ حزناً كبيراً في نفسِ مهيار من أجلِ ما حدثَ لآل البيتِ ، لقد كانَ الأمرُ كذلكَ ، ويظهرُ الصِّدقُ في الرِّثاءِ في الأداءِ التَّعبيريِّ ، وكذلك في الطُّولِ الَّذِي جاءَتْ عليهِ القصيدةُ ، فطول القصيدةِ يكشفُ عن صدقٍ وعن شاعريَّةٍ قويَّةٍ ، لا عن تلفيقٍ وضعفٍ كما يحلو للبعضِ في تفسيرهِ لظاهرةِ الطُّولِ عند مهيار ...وقد بدأ مهيار هذه القصيدة بدايةً قويَّةً ، وقد جعلَ مهيار هذه البدايةَ منسجمةً مع الموضوعِ الأصليِّ الَّذِي قيلَتْ القصيدةُ من أجلهِ ، وهو رثاءُ آل البيتِ الكرامِ ، وبذلكَ استطاعَ مهيار أنْ يطوِّعَ الشَّكلَ التَّقليديَّ في بدايةِ القصيدةِ لغايتهِ ،

وفي هذا النَّمطِ التَّقليديِّ رأينا حرصَ الشَّاعرِ على البدايةِ الطَّلليَّة أو الغزليَّةِ ، وإنْ كانَتْ هناكَ تفسيرات مقنعة لهذا الحرصِ ...لكن كيفَ طوَّعَ الشَّاعرُ المقدِّمةَ لتتناسبَ مع الجو العامِ في القصيدةِ ، لقد كان مهيار بين أمرين ، بين منهجٍ متوارثٍ ، وفكرٍ قديمٍ ، فالمقدِّمةُ الغزليَّةُ منهجٌ ثابتٌ رأيناهُ في كلِّ العصورِ حتَّى في العصورِ الَّتِي حاولَ فيها البعضُ أن يُجدِّدَ في هذه المقدِّمةِ ، ومع هذه الرَّغبةِ ،لم نرَ تغييراً حقيقيَّاً في هذا الإطارِ ، والتشيُّع من الظواهرِ القديمةِ فقد مرَّ عليها مئاتُ السِّنين ، ومع ذلك وجدناً جدَّةً في عرضِ هذه القضيَّةِ ، وقد تمثَّلَتْ هذه الجدَّةُ في مشاعر مهيار، وعاطفتهِ ، وصياغتهِ ، ولغتهِ ، وإيقاعهِ ،وتصويرهِ ، كلُّ هذا التَّجديدِ في شعر التشيُّع منحَ هذا الصِّراعَ الحيويَّةَ والحركةَ ... لكن كيفَ جدَّدَ مهيار في مقدِّمةِ هذه القصيدةِ ، لتكونَ متوافقةً مع شعرهِ الشيعيّ والَّذِي جاءَ في هذه القصيدةِ الرِّثائيَّةِ ،؟ جاءَ تجديدُ مهيار في المقدِّمةِ من خلالِ حديثهِ عن موقفٍ من المواقفِ الَّتِي تأتي كثيراً في المقدِّمةِ التَّقليديَّةِ ـ تحدَّثَ عن موقفِ الفراقِ ، وموقفِ الفراقِ من المواقفِ الَّتِي تلتصقُ بصورةٍ كبيرةٍ بشعرِ الرِّثاءِ والبكاءِ ، فالرِّثاءُ بكاءٌ لفراقِ حبيبٍ ، ومن هنا رأينا هذا الانسجامَ النَّفسيَّ بينَ أجزاءِ القصيدةِ ، بين المقدِّمةِ وبين مضمون شعر التشيُّع الَّذِي جاءَ في قصيدةِ الرِّثاءِ ...يقول مهيار[1] (من الخفيف) :

في الظَّباءِ الغادين أمسِ غزالُ قالَ عنهُ ما يقُول الخيالُ

طارقٌ يزعم الفراقَ عتاباً ويرينا أنَّ المَلالَ دلالُ

(١) الديوان : (٣ / ١٦) ...

لـم يـزلْ يخـدع البصـيرةَ حتّـى سـرَّنا مـا يقـول وهْـو محـالُ
لا عـدمْتُ الأحـلامَ كـم نـوَّلتْنِي مـن منيـعٍ صـعبٍ عليـهِ النّـوالُ
لـم تُنغَصْ وعداً بمطلٍ، ولـم يـو جـبْ لـه منّـةَ علـيَّ الوصـالُ
يـا نـديميّ كنتمـا فافترقنـا فاسـلواني ، لكـلّ شـيءٍ زوالُ
لي في الشَّيبِ صارفٌ ومن الحز نِ ، علـى آل أحمـدٍ إشـغالُ
معشرُ الرُّشد والهدَى، حكم البغـ يُ ، علـيهم سـفاهةُ والضَّـلالُ
ودعـاةُ اللهِ اسـتجابَتْ رجـالٌ لهـمُ ثَـمَّ بُـدِّلُوا فاسـتحالُوا
حملوهـا يـوم السَّـقيفةِ أوزا راً ، تخِـفُّ الجبـالُ وهْـي ثِقـال
ثَـمَّ جاءوا مـن بعـدها يستقيلو نَ ، وهيهـاتَ عثـرةٌ لاتُقـالُ
يـا لهـا سـوءةً إذا أحمـدٌ قـا مَ ،غـداً بيـنهم فقـالَ وقـالُوا
ربـعُ همِّـي علـيهم طلـلٌ بـا قٍ ، وتبلَـى الهمـومُ والأطـلالُ
يـا لقـومٍ إذ يقتلـونَ عليَّـاً وهْـو للمَحْـلِ فـيهم قتَّـالُ
ويُسـرُّونَ بغضَـهُ وهْـو لا تُقْـ بـلُ إلّا بحبِّـهِ الأعمـالُ
وتحـالُ الأخمـارُ واللّهُ يـدري كيـفَ كانَـتْ يـومَ الغـدير تُحـالُ
ولسِـبطينِ تابعيـهِ فمسـمو مٌ ، عليـهِ ثَـرى البقيـعِ يُهـالُ
درسُـوا قبـرَهُ ليخفَـى عـن الـزّو وارِ ، هيهـات ! كيـفَ يخفَـى الهـلال

وشـهيدٍ بـالطفِّ ، أبكَـى السَّـموا تِ ، وكـادَتْ لـه تـزولُ الجبـالُ

والصِّراعُ المذهبيُّ من أجل العقيدة الشيعيِّة في القصيدةِ واضحٌ ، وفي القصيدةِ ما يدلُّ على قوَّةِ هذا الصِّراعِ ، وكذلك ما يدلُّ على موقفِ مهيار من هذا الصِّراعِ ،وقد كشفَ عن هذا الموقفِ من مهيار حرصُهُ على ذكرِ هذا الصِّراعِ في الأبياتِ الأولى من القصيدةِ بعد المقدِّمةِ المتناسقةِ مع موضوعِ الصِّراعِ ، فقد ذكر من أسبابِ انصرافهِ عن النِّساءِ أمرين : الأوّل : الشَّيب ، الحزن على آل البيت ، وكنَّا نتوقَّعُ منهُ أنْ يُفيضَ في وصفِ هذا الحزنِ ، لكنَّهُ أشارَ إلى أنَّهُ حزينٌ على آل البيتِ والَّذِينَ سمَّاهُم بآل أحمد ، وكانَ في هذه التَّسميَّةِ ما يشيرُ إلى موقفهِ في قضيَّةِ الصِّراعِ ، فهذه التَّسميَّةُ ستساعدهُ كثيراً في قضيَّةِ الإمامةِ والخلافةِ الَّتِي سيخصُّها بكثيرٍ من الحديثِ ليسَ في هذه القصيدةِ ، لكن أيضا في قصائدَ كثيرةٍ قادمةٍ ..كنا نتوقَّعُ أن يُسهِبَ في وصفِ حزنهِ على آل أحمد ، لكنَّهُ ينتقلُ سريعاً إلى أمر الإمامةِ ، ويُبيِّنُ أنَّها أُخذَتْ منهُمْ ، ويذكرُ ما حدثَ في يومِ السَّقيفةِ ، ويذكرُ كذلكَ ما حدثَ لآل البيتِ من مصارِع ، ولا شكَّ أنَّ هذه المصارعَ بهذه القسوةِ الَّتِي وصفها مهيار تثيرُ الحزنَ ليسَ فقط في نفس مهيار ، ولكنَّها أيضاً تثيرُ الحزنَ في كلِّ نفسٍ محبَّةٍ لآل البيتِ بصرفِ النَّظرِ عن أمر الخلافةِ والإمامةِ ...والَّذِي جعلَ حديثَ مهيار عن مصارع آل البيتِ يحرِّكُ المشاعرَ الكامنةَ في النُّفوسِ ما ساقهُ في هذا الحديثِ من صورٍ بيانيَّةٍ معبِّرةٍ وشائِقةٍ ، فقد جعلتنا هذه الصُّورُ نعيشُ في كلِّ هذه اللَّحظاتِ الماضيَّةِ ، وكأنَّنا كنَّا فيها نشهدُ ما حدثَ بعيوننا وأسماعنا وقلوبنا ، ومن هنا كانَ التَّأثيرُ والمعايشةُ الوجدانيَّةُ لهذه المواقف التَّاريخيَّة ..ولو ذهبنا إلى هذه الصُّورِ البيانيَّةِ لنقفَ على ما فيها من جمالٍ لوجدناها كثيرةً

وفيَّاضةً ..فعندما تحدَّثَ مهيار عن موقفِ المعارضينَ من الخلافةِ ، وكيفَ أخذوها ؟ نجدُ صوراً كثيرةً تصوِّرُ هذا الأخذَ في صورةٍ شنيعةٍ ، فهُو يقول (من الخفيف) :

لـي فـي الشَّيبِ صارفٌ ومـن الحـز نِ ، علـــى آل أحمـــدٍ إشـــغالُ

معشـرُ الرُّشـد والهـدَى، حكـم البغـ يُ ، علـــيهم ســـفاهةَ والضَّـــلالُ

ودعـــاةُ اللهِ اســـتجابَتْ رجـــالٌ لهـــمُ ثُـــمَّ بُـــدِّلُوا فاســـتحالُوا

حملوهـــا يـــوم السَّـــقيفةِ أوزا راً ، تخِـفُّ الجبـالُ وهْـي ثِقـال

ثُـمَّ جـاءوا مـن بعـدها يسـتقيلو نَ ، وهيهـــاتَ عثـــرةٌ لاتُقـــالُ

وفي الأبياتِ نرَى كثافةَ الصُّورِ الاستعاريَّةِ المكنيَّةِ المشخِّصةِ للخلافةِ الَّتِي أخذَتْ وحُمِلَتْ ، وتظهرُ هذه الاستعاراتُ في قولهِ : " الشَّيب صارف ، ومن الحزنِ ....إشغال ، حكمَ البَغيُ ، حكم الضَّلال ، حملوها يومَ السَّقيفةِ أوزاراً ، تخفُّ الجبالُ وهي ثِقالُ ، ربعُ همِّي عليهم طللُ ، وتبلَى الهمومُ والأطلالُ " فالشَّاعرُ يريدُ أنْ يكشفَ عن فداحةِ ما حدثَ ، وقد استعانَ بكلِّ الأدواتِ في سبيلِ إظهارِ هذا الأخذِ على أنَّهُ جرمٌ ، فالحزن يشغله ، ولنا أن نتخيلَ هذه الصُّورةَ الَّتِي كانَ عليها الشَّاعرُ ، ولكي نتخيَّلَ هذه الصُّورةَ ، علينا أن نتخيَّلَ الحزن ، والإشغالَ ، ولنا كذلك أن نتخيَّلَ أسبابَ هذا الحزن ، فمهيار حزين ، والحزن هو الَّذِي يشغلهُ ويصرفهِ عن حياتهِ ، وفي هذا التَّصويرِ بيانٌ بجسامةِ هذا الخطبِ ، وتكشفُ الاستعارةُ الثَّانيَّةُ عن سببِ هذا الحزنِ الشَّاغلِ ، ونلاحظُ مدَى التَّناسقِ بين الصُّورِ ، فالصُّورةُ الأُولَى تكشفُ عن الحزنِ ، والثَّانيَّة تكشفُ عن أسبابِ هذا الحزنِ

، ونرَى ذلك في قولهِ " حكم البغي ، والضَّلال " ـ وكما سبقَ أن ذكرنا أنَّ هذا التَّعبيرَ فيه تجاوزٌ مرفوضٌ ، فقد وُصِفَ بهِ الصَّحابةُ الكرامُ ـ فليس هناكَ بغيٌّ ولا ضلالٌ ، هناكَ خلافٌ أدَّى إلى أنْ تكونَ الخلافةُ من حقِّ الصِّدِّيقِ ، كانَ مهيار يريد اختيارَ عليٍّ في السَّقيفةِ ، وما دامَ عليٌّ لم يكن له اختيار ، فهذا بغيٌ وضلالٌ ، وكما قلت أنَّهُ يريدُ من هذا التَّشخيصِ التَّشويهَ والتَّمويهَ ، وإذا كانَتْ الاستعارةُ السَّابقةُ تذكرُ سبباً من أسبابِ الحزنِ ، فإنَّ قولهُ " حملوها يوم السَّقيفةِ أوزاراً " فيهِ تفصيلٌ أكثرُ وضوحاً ، فقد حمل المهاجرونَ الخلافةَ ، والحملُ حملُ ظلمٍ ، وكانَ مهيارُ ينظرُ في قولهِ حملوها إلى قوله تعالى " وحملها الإنسانُ إنَّهُ كانَ ظلوماً جهولاً " ، لكن مهيار في الاستدعاءِ القرآنيّ لم يكن موفَّقاً ، فلم يكن هناكَ حملٌ من الصَّحابةِ للخلافةِ ، كلُّ ما هنالك أنَّهُ كانَ هناكَ إجماعٌ على شخصيَّةِ الصِّدِّيقِ لفضلهِ لا لأيِّ اعتبارٍ آخرٍ ، ومهيار في الاستعارة التَّجسيديَّةِ السَّابقةِ يريدُ أنْ يُهوِّلَ ممَّا حدثَ في السَّقيفةِ ، فقد جعلَ ما حدثَ سبباً في أوزارٍ كثيرةٍ ، وقد جاءَ مهيار بصيغةِ الجمعِ ؛ ليكشفَ عن هذه الذُّنوبِ الكثيرةِ الَّتي حملَتْ بسببِ أخذِ الخلافةِ ، ولا يقفُ مهيار عند تكثيرِ الذُّنوبِ الَّتي أخذتْ بأخذِ الخلافةِ ، ولكنَّهُ يقدِّمُ صورةً يكشفُ من خلالها عن ثِقلِ هذه الذُّنوبِ ، فهو يقولُ " تخفُّ الجبالُ وهي وثقالٌ " وفي التَّعبيرِ السَّابقِ صورتانِ ، الأولى في كلمة الجبال ، وفي هذه الصُّورةِ نلمحُ صوتَ الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ ، فقد جعلَ مهيار الذُّنوبَ جبالاً ، وفي هذا تجسيمٌ وتعظيمٌ وتضخيمٌ من أمرِ الذُّنوبِ ، ونرَى أيضاً في هذه الجملة استعارةً أخرَى ، وهي تصوِّرُ الجبالُ وتجسِّمُها في صورةٍ ماديَّةٍ تقبلُ الزِّيادةَ والنُّقصانَ ، وقد ظهرَتْ هذه الاستعارة في قولهِ " تخفُّ الجبالُ " ، ولاشكَّ أنَّ الصُّورَ الجزئيةَ السَّابقةَ

قد تعاوَنَتْ فيما بينها في تصويرِ ما رآهُ مهيار اغتصاباً لحقِّ آل البيت في الإمامةِ ...وكما كانتْ الصُّورُ الاستعاريَّةُ حاضرةً في تصويرِ ما حدثَ في السَّقيفةِ ، كانَتْ حاضرةً أيضاً في تصويرِ ما حدثَ لآل البيتِ من مصارع وبخاصَّةٍ ما حدثَ للإمامِ عليٍّ ـ كرَّمَ اللَّهُ وجههُ ـ ، وقد كشفَ مهيار عن ذلك في قوله[1] "من الخفيف) :

يـــا لقـــومٍ إذ يقتلـــونَ عليَّـــاً وهْـــو للمَحْـــلِ فـــيهم قتَّـــالُ

ويُســرُّونَ بغضَــهُ وهْـو لا تُقّــ ـــــلُ إلّا بحبِّـــــهِ الأعمـــــالُ

وتحـــالُ الأخمـــارُ واللّهُ يـــدري كيـفَ كانَـتْ يـومَ الغـدير تُحـالُ

ولسِـــبطينِ تابعيـــهِ فمســـمو مٌ ، عليـــهِ ثَـــرى البقيـــعِ يُهـــالُ

درسُـوا قبـرَهُ ليخفَـى عـن الـزّو وارِ ، هيهـات ! كيـفَ يخفَـى الهـلال

وشـهيدٍ بـالطّفِّ ، أبكَـى السَّـموا تِ ، وكـــادَتْ لـــه تـــزولُ الجبـــالُ

أرادَ مهيار في الأبياتِ السَّابقةِ أن يُعظِّم من شأنِ ما حدثَ في حقِّ الإمامِ عليٍّ ، وقد استعان مهيار في سبيلِ ذلكَ بكثيرٍ من الصُّورِ الكليَّةِ والجزئيَّةِ وبكثيرٍ من الأساليب والَّتِي جاءَتْ في معظمها خبريَّةً وقد زاوجَ مهيار في هذا الأسلوبِ الخبريِّ بين الفعلين الماضِي والمضارعِ ، وقد كانَ كلٌّ منهما مستقِّراً في مكانهِ وجديراً بهِ ، كما استعان مهيار في هذه الأبياتِ بالمحسِّناتِ ، وقد تنوَّعَتْ هي الأُخرَى ما بين المحسِّناتِ اللَّفظيَّةِ والمعنويَّة ، وقد أدَّتْ هذه المحسِّناتُ دورها في إظهارِ ما حدثَ مع الإمامِ ، وكذلك في بيانِ

---

(١) الديوان : (٣ / ١٦) ..

فضلهِ ...ونحن في هذا السِّياقِ سنقفُ مع أثرِ التَّصويرِ في عرضِ مأساةِ الإمامِ ، وأثرهِ في بيانِ الحزنِ على الإمامِ ، ومن الصُّورِ الَّتِي جاءَ بها مهيار في عرضِ مأساةِ قتلِ الإمامِ عليٍّ ، قولـه " يا لقوم إذ يقتلون عليَّاً ، وهو للمَحْلِ فيهم قتَّال " ، وفي هذا البيتِ نرَى كثيراً من الصُّورِ الجماليَّةِ ، وهي تكشفُ عن مفارقةٍ تعبيريَّةٍ ، وقد كشفَتْ الصُّورُ الاستعاريَّةُ وكذلك الطِّباقُ عن هذه المفارقةِ ، فالإمامُ يقتلُ من أجلهِمْ المَحلَ ، وهم يقتلونـهُ ، وفي هذه الصُّورِ ما فيها من جمالٍ بديعٍ وتصويرٍ رائعٍ ، فالمَحلُ يُقتلُ ، وفي هذا تشخيصُ وإبرازٌ لهذا المحلِ في صورةِ إنسانٍ مسرفٍ على نفسهِ ، وهو بذلكَ يستحقُّ القتل ، ومن عجبٍ أنَّكَ ترَى من يقتلُ المَحلَ هُو الَّذِي يُقتلُ ، وفي هذا سخريةٌ ونَيلٌ من هؤلاءِ القتلةِ ...وكما كانَتْ الصُّورُ مشخِّصةً لهولِ قتلِ الإمامِ ، كانَتْ كذلك كاشفةً عن الحزنِ الَّذِي عمَّ الجميعَ عند مقتلِ الإمامِ الحسينِ ، وفي هذا يقُول " وشهيدٍ بالطَّفِّ أبكَى السَّمواتِ ، وكادَتْ لهُ تزولُ الجبالُ " ، وفي هذا البيتِ صورتانِ مشخِّصتانِ ، ولكي تقفَ على هولِ ما حدثَ مع الحسينِ في الطَّفِّ ، عليك أن تتخيَّلَ السَّمواتِ وهي تبكي ، عندها ستدركُ أنَّ ما حدثَ في الطَّفِّ كانَ شيئاً مريعاً ، ولك أيضاً أن تتخيَّل الصُّورة الأُخرَى وما فيها من تشخيصٍ يكشفُ عن جسامةِ ما حدثَ ، فقد جعل مهيار في الصُّورة الأُخرَى الجبالَ تزول، والجبالُ لا تزولُ إلَّا لأمرٍ عظيمٍ ، وعندما تزولُ الجبالُ ، سترَى الولدانَ شِيبا ، لقد جعلَ مهيارُ الجبالَ تزولُ لمقتلِ الحسينِ وآله في الطَّفِّ .....

وكما كشفَتْ الصُّورُ الجزئيَّةُ في الأبياتِ السَّابقةِ عن أخذِ الخلافةِ وقتلِ الإمامِ عليٍّ والحسينِ ، كشفَتْ كذلك عن الحزنِ العظيمِ الَّذِي خيَّمَ على الكونِ كلِّهِ بسببِ هذا القتلِ ، وكذلكَ نراها حاضرةً في توصيفِ حزنِ الشَّاعرِ

على آل البيتِ ، وقد رأيناها حيَّةً وماثلةً في هذه الأبياتِ ، والَّتِي يقولُ[1] فيها مهيار (من الخفيف) :

وقليـــلٌ لكـــمْ ضُـــلُوعِي تهتـــز ... ز، مـــع الوجـــدِ ،أو دمـــوعي تـــذال

كـــانَ هـــذا كـــذا وودِّي لكـــمْ حـــب ... بٌ ، ومـــالي فـــي الـــدِّينِ بعـــدُ اتِّصـــالُ

و طروســـي ســـودٌ فكيـــفَ بَـــي الآ ... نَ ، ومـــــنكمْ بياضُـــــها والصِّـــــقالُ

حـبُّكُمْ كـانَ فـكَّ أسـرِي مـن الشِّـر ... كِ ، وفـــــي منكبِـــــي لـــــهُ أغـــــلالُ

كـــمْ تزمَّلْـــتُ بالمذلَّـــةِ حتَّـــى ... قمـــتُ فـــي ثـــوبِ عـــزِّكمْ أختـــالُ

بركـاتٌ لكـم محَـتْ مـن فـؤادِي ... مـــا أمَّـــلَ الضَّـــلالُ عـــمٌّ وخـــالُ

ولقـــدْ كنـــتُ عالمـــاً أنَّ إقبـــا ... لـــــي بمـــــدحي علـــــيكمُ إقبـــــالُ

لكـمُ مـن ثنـايَ مـا سـاعدَ العـمْ ... رُ فمنـــــهُ الإبطـــــاءُ والإعجـــــالُ

وعليكمْ في الحشرِ رُجحانُ ميزا ... نـــي بخيـــرٍ لـــو يُحصـــرُ المِثقـــالُ

ويقينـي أنْ سـوفَ تصـدُقُ آمـا ... لـــي بكـــم يـــومَ تكـــذبُ الآمـــالُ

والأبياتُ مفعمةٌ بالصُّورِ المعبِّرَةِ ، وفي هذه الصُّورِ نرَى المجازَ بقوَّةٍ وبخاصَّةٍ الاستعارةُ والَّتِي كانَ لها دورٌ كبيرٌ في التَّجسيدِ والتَّشخيصِ ، فقَد استطاعَتْ هذه الصُّورُ إظهارَ ما في نفسهِ من قيمٍ شعوريَّةٍ وفيوضات نفسيَّةٍ عميقةٍ تجاه آل البيتِ الأطهارِ ، ومن هذه الصُّورِ المجازيَّةِ : " حبُّكم

---

(١) الديوان : (٣ / ١٧) .

فكَّ أسرِي من الشِّركِ ، وفي منكبي أغلال ، كم تزمَّلْتُ بالمذلَّةِ ، في ثوبِ عزِّكُمْ أختالُ ، بركاتٌ محَتْ من فؤادي ما أمَّل الضَّلالُ ، تصدقُ آمالي بكم يوم تكذبُ الآمال.." ، والاستعاراتُ السَّابقةُ تكشفُ عن تقديرٍ عميقٍ لآل البيتِ ، فهم الَّذِينَ أنقذوهُ من الشِّركِ ، وكانَ قبل الشِّركِ متزمِّلاً بالمذلَّةِ ، ثُمَّ أصبحَ يختالُ في ثوبِ عزِّهِمْ ....

ولم تكن اللَّاميَّةُ المضمومةُ وحدها هي الَّتِي شهِدَتْ هذا الحضورَ الطَّاغي من الاستعاراتِ وبخاصَّةٍ المكنيَّةُ والَّتِي جاءَتْ في غالبها تشخيصيَّةً ،فقَدْ رأينا هذا الحضورَ المكثَّفَ من جانبِ الصُّورِ الجزئيَّةِ في كلِّ شعرِ التشيُّع ، وهذا يدلُّ على مدَى إدراكِ مهيار لقيمةِ الاستعارةِ في العملِ الشِّعريِّ الغنائيِّ ، وطبيعةُ الشِّعرِ الغنائيّ هي الَّتِي اقتضَتْ هذا الحضورَ وهذا الوجودَ الَّذِي كانَتْ له أسبابهُ وغاياتُهُ الفنيَّةُ ....

ومن شعرِ مهيار الَّذِي أكثرَ فيهِ من الصُّورِ الجزئيَّةِ وبخاصَّةٍ الاستعارةُ قصيدتُه اللَّاميَّةُ السَّاكنةُ أو المقيَّدةُ والَّتِي يقولُ فيها[1] (من الرجز) :

كمْ عِبرةٍ وأنّتَ من عظاتِها ... ملتفٌ تتبعُ شيطانَ الأملْ

ما بينَ يُمناكَ وبينَ أختِها ... إلّا كما بينَ مناكَ والأجلْ

فاعملْ من اليومِ لما تلقَى غداً ... أولا فقُلْ خيراً تُوفَقْ للعملْ

وَرِدْ خفيفَ الظَهرِ حوضَ أسرةٍ ... إنْ ثقّلُوا الميزانَ في الخيرِ ثقُلْ

اشُددْ يداً بحبِّ آل أحمدٍ ... فإنّهُ عُقّدةُ فوزٍ لا تُحلُّ

---

(١) الديوان : (٣ / ١١٠) ...

وابعــثْ لهُــمْ مراثيــا ومِــدحاً صـفوَةَ مـا راضَ الضَّـميرُ ونخـلْ
عقــائلاً تصــانُ بابتــذالِها وشــارداتٍ وهــي للسَّــاري عُقُــل
تحمـلُ مـن فضـلِهِمْ مـا نَهَضَـتْ بحملــهِ أقــوَى المصــاعيبِ الــذُلَل
موسـومةً فـي جبهـاتِ الخيـلِ أو معلّقــاتٍ فــوقَ أعجــازِ الإبــلْ
تنشــوا العــلاءَ ســيِّداً فســيِّدا عــنهُمْ وتنعَــى بطــلاً بعــدَ بطــلْ
الطَيِّبُــونَ أزُراً تحــت الــدَّجَى الكــائنونَ وزراً يــومَ الوجــلْ
خيــرُ مصــلٍّ مَلَكــاً وبشــراً وحافيــاً داسَ الثَــرَى ومنتعِــلْ
هُــمْ وأبُــوهُمْ شــرفاً وأمَّهــمْ أكـرمُ مـن تحـوِي السَّـماءُ وتُظِـلّ

ولـو سـرنا مـع هـذه القصـيدةِ إلـى آخرِهـا ، لوجـدناها مليئـةً بهـذه الصُّورِ الجزئيَّةِ الَّتِي تقدِّمُ نموذجاً من النماذجِ الفريدةِ في حبِّ آل البيتِ ، كانَ مهيار محبَّاً لآل البيتِ ، وهو حبٌّ قديمٌ في نفسهِ حتَّى قبلَ أن يُسلِمَ ، وقد أخبرَ بذلكَ في أكثر من مكانٍ في شعرهِ عن هذا الحبِّ ، وكيفَ كانَ هذا الحبُّ من أهمِّ الدَّوافعِ الَّتِي جعلتهُ يعتنقُ هذا الدِّينَ العظيمَ ، وقد تجلَّى هذا الحبُّ في حبِّهِ لشخصيَّةٍ عظيمةٍ من شخصيَّات آل البيتِ في عصرهِ ، فقد اتَّصلَ مهيار بالشَّريفِ الرَّضِيِّ ، ولازمهُ ، وتعلَّمَ منهُ حبَّ الدِّينِ والأدب ؛ ولذلك رأيناهُ في شعرهِ يتحدَّثُ عن ذلكَ بكلِّ فخرٍ واعتزازٍ . فالأبياتُ في حـبِّ آل البيـتِ ، وقـد اسـتطاعُ الشَّـاعرُ مـن خـلالِ الأدواتِ التَّعبيريَّـةِ والتَّصويريَّةِ أن يكشفَ عن هذا الحبِّ ، ومن هُنا رأينا إكثارَ الشَّاعرِ من هذه الصُّورِ الجزئيَّـةِ ، ومـن هـذه الصُّـورِ مـا جـاءَ فـي قولـهِ " إنْ ثقَّلُوا

الميزانَ في الخيرِ ثقُلْ " وفي هذه الصُّورةِ ما فيها من جمالٍ وروعةٍ ، فقد جعلَ مهيار خيرَ بني هاشمٍ يُثقِّلُ الميزان، وكأنَّهُ شيءٌ ماديٌّ له جرمٌ وحجمٌ ، وفي هذا بيانٌ وكشفٌ وإظهارٌ لقدرِ آل البيتِ وعظيمِ شأنِهِمْ ، وفي هذا التَّشريفِ تشريفٌ لكلِّ محبٍّ لآل البيتِ أن يكونَ مثلَهُم ، وأنْ يحذوا حذوهُمْ ، وكيفَ لا؟ وهُم آل البيتِ الَّذين شرَّفَهُمْ وخصَّهُمْ بهذه القربى وهذا النَّسب.. وتقابلنا الاستعاراتُ في الأبياتِ السَّابقةِ وقد تضافَرَتْ فيما بينها من أجلِ تقديمِ صورةٍ مشرِّفةٍ لآل البيتِ ترسم شيئاً من ملامحِ صورتِهِمْ ، وإنْ كانُوا هُم أعظم منها وأجلّ ، ومن هذه الصُّورِ قوله " بحبِّ آل أحمدٍ ، فإنَّهُ عقدةُ فوزٍ لا تُحلُّ ، وابعثْ لهم مراثيا ومِدحا صفوةَ ما راضَ الضميرَ ونخلَ ، تحملُ من فضلِهِمْ ما نهضَتْ بحملهِ أقوَى المصاعيبِ الذُّلُل ، الطَّيِّبُونَ أُزُراً ، والمنعمون والثَّرَى مقطِّبٌ من جدبهِ ، والعام غضبانُ أزِل " ، وكلُّ ما سبقَ من استعاراتٍ يصوِّرُ ويُجلِّي مناقب آل البيتِ أمامَ الجميع ، وما كانَ يتَّصفُ بهِ آلُ البيتِ من شرفٍ وفضلٍ ليسَ من بناتِ الخيالِ أو صورةٍ من صورِ الخيالِ والأحلامِ ، حتَّى ولو جاءَ في صورةِ الخيالِ ، فقد كشفَ هذا الجمالُ عن روعةِ ما لهم من جمال ....والأبياتُ السَّابقةُ لمهيار تكشفُ عن شاعريَّةٍ حقيقيَّةٍ ، فمهيار شاعرٌ من الشُّعراءِ الكبار ، له قيمته وقامته في الأدب العربيِّ في عصرِ العبَّاسيِّينَ وفي كلِّ العصورِ ، وليسَ بصحيحٍ ما قيلَ عن مهيار وعن شعرهِ ، قيل عن شعره : إنَّهُ شعرٌ متكلَّفٌ ، وملفَّقٌ ، ومقلِّدٌ ،وقيلَ عن مهيار : إنَّهُ كانَ يضلُّ في إيجادِ الكلماتِ المناسبة لتجاربهِ ، فهل يمكنُ أنْ يكونَ ذلكَ صحيحاً ؟ هل يمكنُ لمثلِ رجلٍ بهذه الشَّاعريَّةِ أن يكونَ كذلكَ ؟ ومن يقرأ الأبيات يجد فيها ما يدفعُ كلَّ ما قيل عن مهيار وعن شعرهِ ، انظرْ إليهِ وهو يقول: " ملتفٌ تتبعُ شيطانَ الأمل " وفي هذه

الصُّورةِ جمالٌ رائعٌ ، لقد أَصبحَ الأملُ شيطاناً ، وأصبحَ هذا الأملُ الشَّيطانيُّ يُتبعُ ، ولاشكَّ أنَّ في تجسيمِ هذا الأملِ بهذه الصُّورةِ المريعةِ تنفيراً من هذا الأملِ ، وانظرْ إليهِ وهو يقُولُ : " بحبِّ آل أحمدٍ ، فإنَّهُ عقدةُ فوزٍ " ، أين التَّقليدُ في هذا ؟ أين التَّلفيقُ ؟ أينَ التَّكلُّفُ ؟ أين الضَّلالُ ؟ أين البُرودُ العاطفيُّ ؟ العبارةُ فيها جمالُ يأخذُ بالنَّفسِ وباللُّبِّ ، فقد جعل مهيارُ الفوزَ مرهوناً بحبِّ آل البيتِ ، وكيفَ لا ؟ وهُمْ آل النَّبيِّ ، وفي الأبياتِ كثيرٌ من الألفاظِ والعباراتِ والصُّورِ تكشفُ عن شاعريَّةٍ حقَّةٍ من مهيار ، ومن هذا ما جاءَ في قولهِ السَّابقِ[1] (من الرجز) :

الطَّيِّبُونَ أزُراً تحت الدَّجَى الكائنونَ وزراً يومَ الوجلْ

خيرُ مصلٍّ مَلَكاً وبشراً وحافياً داسَ الثَّرَى ومنتعلْ

هُمْ وأبُوهُمْ شرفاً وأمَّهمْ أكرمُ من تحوِي السَّماءُ وتُظِلّ

كلماتٌ مضيئةٌ من كلماتِ مهيار، تعبِّرُ عن حقٍّ ، وتكشفُ عن صدقٍ ، فهُمْ بحقٍّ أكرمُ من تحوِي السَّماءُ وتُظِلُّ .....

٢ ـ التشيُّع والصُّور الكليَّة :

كانَتْ الصُّورُ الكليَّةُ من الأدواتِ التَّصويريَّةِ الَّتِي استعانَ بها مهيار كثيراً في الكشفِ عن الصِّراعِ المذهبيِّ من أجل عقيدة التشيُّع في عصرهِ ، ولقد كانَ هذا الصِّراعُ سمةً من سماتِ هذا العصرِ ، وقد استطاعَ مهيار في شعرهِ أنْ يكشفَ عن هذا الصِّراعِ من أجل التشيُّع ...وإنَّما اتخذَ مهيار هذه

---

(١) الديوان : (٣ / ١١٠) ...

الصُّورَ لتكونَ من أدواتهِ التَّعبيريَّةِ ؛ لأنَّ هذه الصُّور هي الأقدرُ على كشفِ تفاصيل هذا الصِّراعِ من أجل التشيُّع بما فيها من اتِّساعٍ وتنوُّعٍ ...

ويمكنُ أنْ نرَى ما قَامَتْ بهِ هذه الصُّورُ الكليَّةُ في عرضِ تفاصيلِ الصِّراعِ من أجل التشيُّع الَّذِي كانَ بين آل البيتِ وغيرهم ، وقد رأيناه يتحدَّث عن هذا الصِّراعِ في مراحل كثيرةٍ من مراحله ، وهو من خلالِ عرضِ التَّطورِ التَّاريخيِّ للصِّراعِ من أجل العقيدة الشيعيِّة ، يريدُ أن يكشفَ عن مدى المعاناةِ الَّتِي عاشها آل البيت ، ومهيار من خلال الصُّورِ الكليَّة استطاعَ أنْ يُرينا هذا الصِّراعَ كأنَّنا نراهُ ونعاينهُ . ومن شعرِ مهيار الَّذِي ظهرَتْ فيهِ الصُّورُ الكليَّةُ قوله[1] (من البسيط) :

وقائـل لـي علـيٌّ كـانَ وارثَـهُ ... بالنّصِّ منهُ ، فهلْ أعطَوهُ أم منعُوا

فقلْتُ كانَتْ هنـاتٌ لستُ أذكرُها ... يجـزي بهـا اللّهُ أقوامـاً بمـا صـنعُوا

أبلـغْ رجـالاً إذا سـمَّيتَهُمْ عُرفُـوا ... لهُـمْ وجـوهٌ مـن الشَّـحناءِ تُمتقـعُ

توافقُـوا وقنـاةُ الـدِّينِ مائلـةٌ ... فحينَ قَامَتْ تلاحَوا فيهِ واقترَعُوا

أطـاعَ أوَّلُهُـمْ فـي الغـدرِ ثـانيَهُمْ ... وجـاءَ ثـالِثُهُمْ يقفُـو ويتَّبـعُ

قفَوا على نظرٍ في الحقِّ نفرضُهُ ... والعقـلُ يفصـلُ والمحجـوجُ ينقطـعُ

بـأيِّ حُكـمٍ بنَـوهُ يَتْبعُـونكمُ ... وفخـركمْ أنّكُـمْ صَـحبٌ لـهُ تبـعُ

وكيفَ ضاقَتْ على الأهلينَ تربتُهُ ... وللأجانـبِ مـن جنبيـهِ مضـطجعُ

وفـيمَ صـيَّرْتُمُ الإجمـاعَ حُجَّـتكُمْ ... والنّاسُ ما اتَّفقُوا طوعاً ولا اجتمعُوا

---

(١) الديوان : (٢ / ١٨٣) ..

أمـرُ علـيٍّ بعيـدٌ مـن مشـورتهِ مسـتكرهٌ فيـهِ والعبَّـاسُ يمتنـعُ

وتدَّعيـهِ قـريشٌ بالقرابـةِ وال أنصـارُ لا رُفَـعٌ فيـهِ ولا وُضُـعُ

فـأيّ خُلـفٍ كخُلـفٍ كـانَ بيـنكمُ لـولا تُلفّـقُ أخبـارٌ وتصـطنَعُ

واسألْهُمْ يومَ خمٍّ بعد ما عقدُوا لـه الولايـةَ لِـمْ خـانُوا ولِـمْ خلعُـوا

قـولٌ صـحيحٌ ونيَّـاتٌ بهـا نَغَـلٌ لا ينفـعُ السَّـيفَ صَـقلٌ تحتـهُ طبـعُ

إنكـارُهُمْ يـا أميـرَ المـؤمنينَ لهـا بعـد اعتـرافهمُ عـارٌ بـه اذَّرعُـوا

ونَكـثُهُمْ بـك مَـيلاً عـن وصِـيَّتِهِمْ شـرعٌ لعمـرك ثـانٍ بعـدهُ شـرعُوا

ترَكْـتَ أمـراً ولـو طالبتَـهُ لـدَرَّتْ معـاطسٌ راغمتْـهُ كيـفَ تجتـدعُ

صبَرْتَ تحفظُ أمرَ اللهِ مـا اطّرحُـوا ذبّاً عن الدِّينِ فاستيقَظْتُ إذ هجعُوا

ليُشـرِقنَّ بحلـو اليـومِ مُـرَّ غـدٍ إذا حصدْتَ لهُمْ في الحشرِ مُرَّ ما زرعوا

جاهَدْتُ فيك بقَولِي يوم تختصمُ ال أبطـالُ إذ فـاتَ سـيفِي يـومَ تمتصـعُ

في هذه القصيدةِ يتحدَّثُ مهيار عمَّا حدثَ في يومِ السَّقيفةِ ، وهو في هذا الحديثِ يصفُ ما جرَى في هذا اليومِ بالغدرِ والخلفِ ، بل إنَّهُ يرفضُ رفضاً تاماً نتيجةَ هذا الاجتماعِ ، حتَّى لو كانَ ذلكَ عن طريقِ الإجماعِ ...وعندما ننظرُ في الصُّورِ الكليَّةِ الَّتِي جاءَ بها مهيار لوصفِ هذا الحدثِ الجللِ في تاريخِ الإسلامِ ، نراهُ يأتي بكثيرٍ من الصُّورِ الكليَّةِ الَّتِي تجسِّدُ

هذه اللَّحظةَ من حياةِ هذه الأُمَّةِ ، وقد تعدَّدَتْ هذه الصُّورُ وتنوَّعَتْ ، لكنَّها تتَّفقُ مع بعضها في الدَّلالةِ على رفضِ ما حدثَ وتصويرهِ في أشنعِ صورةٍ ...وفي هذه الأبياتِ نرَى عناصر الصُّورةِ الكليَّةِ ، فنرَى الألفاظَ الدَّالةَ على الصَّوتِ ، وهي كثيرةٌ ، وكانَ لابُدَّ من هذه الألفاظِ الصَّوتيَّةِ ، فهذه الألفاظُ تصوِّرُ ما حدثَ في بدايةِ الصِّراعِ في يومِ السَّقيفةِ وغيرهِ من أيَّامِ الصِّراعِ ، فالصَّراعُ كما قلتُ في البدايةِ كانَ كلاميَّاً ، وكلٌّ فريقٍ يحتجُّ على الفريقِ الآخرِ بالحُججِ الَّتي يراها تقوِّي من موقفهِ في مسألةِ الإمامةِ ، ومن الألفاظِ الَّتي تصوِّرُ الجدالَ الكلاميَّ والنِّقاشَ القولي قوله " وقائل لي عليٌّ كانَ وارثَهُ بالنَّصِّ ، فقُلتْ : كانَتْ هناتٌ ، أبلغْ رجالاً ، والنَّاسُ ما اتَّفقُوا طوعاً ولا اجتمعوا ، وتدَّعيهِ قريشٌ ، لولا تلفُّقُ أخبارٌ وتصطنعُ ، واسألْهُمْ يوم خَمٍّ بعدما عقدوا له الولايةَ لِمْ خانُوا ولِمْ خلعُوا ، قَولٌ صحيحٌ ونيَّاتٌ بها نغلُ ، وإنكارِهِمْ " ، ونلاحظُ فيما سبقَ كثرةَ الصُّورِ الكليَّةِ الصَّوتيَّةِ ، وهذا يتَّفقُ مع طبيعةِ التشيُّع في هذه المرحلةِ من مراحل التشيُّع، فقد دارَ حوارٌ طويلٌ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ ، فقد كانَ للأنصارِ رأيٌ في مسألةِ الخلافة ، وكذلكَ كانَ للمهاجرين رأيٌ في هذه المسألةِ ، وأخذ كلُّ فريقٍ منهمْ يُدلي بحجَّتهِ في هذا الأمرِ ، حتَّى اتَّفقَ الجميعُ على أنَّ الخلافةَ في قريشٍ والوزارةَ في الأنصارِ ... وعندما ينتقلُ الصِّراعُ إلى مرحلةٍ أخرَى من مراحلهِ وهي مرحلةُ البيعةِ ، نرَى مهيار يأتِي بالصُّورِ الكليَّةِ الحركيَّةِ ، وقد استطاعَتْ هذه الصُّورُ الحركيَّةُ أن تصوِّرَ لنا موقفَ المؤيِّدينَ والمعارضين من هذه البيعةِ ، ونرَى هذه الصُّورَ الكليَّةَ الحركيَّةَ في قوله " وقناةُ الدِّينِ مائلةٌ ، فحين قَامَتْ تلاحَوا فيهِ واقترعُوا، وجاءَ ثالثهم يقفُوا ويتَّبعُ ، قفَوا على نظرٍ في الحقِّ نفرضهُ ، أمرُ عليٍّ بعيدٌ

من مشورتهِ ، مستكرهٌ فيهِ والعبَّاسُ يمتنعُ ، لا ينفعُ السَّيفَ صقلٌ تحتهُ طبعُ ، عارٌ بهِ ادَّرعُوا ، لدرَّتْ معاطسٌ ، كيفَ تجتدعُ ، ذبَّاً عن الدِّين " ، والصُّورُ الكليَّةُ الحركيَّةُ كانَتْ تتوافقُ مع كانَ يحدثُ عند البيعةِ ، كما أنَّها كانَتْ تصوِّرُ مواقفَ الإمامِ عليٍّ في الدِّفاعِ والذَّبِّ عن هذا الدِّينِ ....وإذا كانَتْ الصُّورُ الكليَّةُ الصَّوتيَّةُ والحركيَّةُ قد ظهرَتْ في الأبياتِ السَّابقةِ بكثرةٍ ، فإنَّ الصُّورَ الكليَّةَ اللَّونيَّةَ قد جاءَتْ في الأبياتِ السَّابقةِ على استحياءٍ ، ومن هذه الصُّورِ ما جاءَ في قولهِ " وجوه من الشَّحناءِ تمتقعُ ، ليُشرقَنَّ بحلو اليوم مُرَّ غدٍ " ، وهو في هذه الصُّورِ يُصوِّرُ وجوهَ الكارهينَ لخلافةِ الإمامِ ، بأنَّ وجوهَهم من الشَّحناءِ تمتقعُ ، كما أنَّهُ يصوِّرُ حالَ هذه الوجوهِ في اليوم وغد ، وقد جعلَ مهيار هذه الوجوه في اليوم مشرقةً وفي الغدِ ستكونُ في مرارةٍ ...

وكما ظهرَتْ الصُّورُ الكليَّةُ في القصيدةِ السَّابقةِ، ظهرَتْ كذلكَ في هذه القصيدةِ ، وممَّا جاءَ في هذه القصيدةِ [1](من المتقارب) :

أميَّـــةَ لابســـةَ عارَهـــا وإنْ خَفِـــي الثـــأرُ أو حُصِّـــلا

فيـومُ السَّـقيفةِ يـا بـن النّبيـ ي ، يومـــك فـــي كـــربَلا

وغصـــبُ أبيـــكَ علـــى حقِّـــهِ وأمِّـــكَ حسَّـــنَ أنْ تُقـــتَلَا

أيـــا راكبـــاً ظهـــرَ مجدولـــةٍ تُخـــالُ إذا انبســـطَتْ أجـــدلا

شَـأَتْ أربـعَ الـرِّيح فـي أربـع إذا مـــا انتشـــرْنَ طـــوينَ الفَـــلا

---

(١) الديوان : (٣ / ٥٠) ...

إذا وكّلَـــتْ طرفَهـــا بالسَّـــما ءِ ، خِيـــلَ بإدراكِهـــا وُكِّـــلا

فعـــزّتْ غزَالَتهـــا غَـــرَّةً وطالَـــتْ غـــزالَ الفـــلا أيطَـــلا

كطيِّـــكَ فـــي منتهَـــى واحـــدٍ لتـــدرِكَ يثـــرِبَ أو مـــرقَلا

فصِـــلْ ناجيـــاً وعلـــيّ الأمـــانُ لمـــنْ كـــانَ فـــي حاجـــةٍ مُوصَـــلا

تحمَّـــلْ رســـالةَ صـــبٍّ حملْـــتَ فنـــاد بهـــا أحمـــدَ المرســـلا

والأبياتُ السَّابقةُ تصوِّرُ جزءاً من الصِّراعِ الَّذِي كانَ بينَ آل البيتِ وبين المعارضين ، كما أنَّها تصوِّرُ بعضاً من مصارعِ آل البيتِ وبخاصَّةٍ مصرعُ الحسين ، كما أنَّها تصوِّرُ رحلةً من رحلاتِ الإمامِ عليٍّ إلى يثرب ، هل كانَتْ هذه الرِّحلةُ هي رحلةُ الهجرةِ ، ليس في الأبياتِ ما يؤكِّدُ على شيءٍ من هذا ، وما يعنينا هنا أنَّ الشَّاعرَ في هذه الأبياتِ قد أكثرَ من الصُّورِ الكليَّةِ الحركيَّةِ ؛ لأنَّ هذه الصُّورَ تتَّفقُ مع الصِّراعِ الحربيّ أو المسلَّحِ الَّذِي جاءَ في جزءٍ من الأبياتِ ، كما أنَّها تتَّفقُ مع وصفِ الرِّحلةِ والَّتِي جاءَتْ في الجزءِ الآخرِ من الأبياتِ ...وتظهرُ هذه الصُّورُ الكليَّةُ الحركيَّةُ في قول مهيار : " أُميَّةُ لابسةٌ عارها ، وغصبُ أبيك على حقِّهِ ، حسَّنَ أن تُقتَلا ، أيا راكباً ظهرَ مجدولةٍ ، إذا ما انتشرْنَ طوينَ الفلا ، كطيِّكَ في منتهَى واحدٍ ، لتدرِكَ يثرِبَ أو مرقلا "... وبذلكَ استطاعَ مهيار في شعرِ الصِّراعِ أن يختارَ من الصُّورِ الجزئيَّةِ والكليَّةِ ما يتناسبُ مع المضمونِ الفكريِّ والنَّفسيِّ في شعرِ الصِّراع، وقد رأيناهُ في تصويرهِ يكثرُ من الاستعارةِ ومن الصُّورِ الكليَّةِ الصَّوتيَّةِ والحركيَّةِ .....

ثالثا- الإيقاع في شعر التشيع لدي مهيار :

تعاوَنَتْ الأدواتُ المتعدِّدةُ في شعر التشيُّع في الكشفِ عن موقفِ مهيار من هذا الصِّراع ، وقد تحدَّثنا فيما سبقَ عن أثر اللُّغةِ في توضيحِ مضمون التشيُّع عند مهيار، وكذلك وقفنا مع التَّصويرِ بنوعيهِ وأثرهِ في تجسيد هذه التَّجربةِ من التَّجاربِ الواضحة في شعرِ مهيار ....وفي هذا السِّياقِ ستكون هناك وقفةٌ مع الإيقاعِ ودورهِ في البَوحِ بمضامين التشيُّع. والإيقاعُ جزءٌ مهمٌ من أجزاء العملِ الشِّعريِّ ، ودورهُ في الإيحاءِ بالتَّجربةِ الشِّعريَّةِ والشُّعوريَّةِ لا يقلُّ عن الدَّورِ الَّذِي تقومُ بهِ الأدواتِ الأخرَى ، كما أنَّهُ من الأسسِ المهمَّةِ في الحكمِ على العملِ الأدبي ، فإذا استطاعَ الشَّاعرُ أن يحكم تقديمهُ وعرضه و موافقته لمضمونهِ الشِّعريِّ ، فإنَّ هذا يعنِي نجاحَ العملَ الشِّعريَّ بكلِّ مقوِّماتهِ الفنيَّةِ

والحديث عن الإيقاع سيكون من خلالِ الحديث عن :

١ - الإيقاع الخارجيّ :

أ - الوزن :

الوزن جزءٌ من الإيقاع ، وليسَ كلَّ الإيقاعِ ، " وهذا الجزءُ يقتصرُ دورُه على تنظيمِ شِقٍّ واحدٍ هو المدَى الزَّمنيُّ ، والوزنُ لا يُمكنُ أنْ يتحقَّقَ تحقُّقاً كاملاً ؛ فهُو نمطٌ مثاليٌّ ، لكنْ الَّذِي يتحقَّقُ عدَّةُ إيقاعاتٍ للوزنِ الواحدِ

، وذلكَ نتيجة الزَّحافاتِ والعللِ ، وحروف المدِّ الَّتِي تؤدِّي إلى تنوّعِ إيقاعِ الوزنِ الواحدِ ، ورغمَ تلك التنوُّعات الَّتِي تدخلُ الوزنَ الواحدَ والَّتِي تحقِّقُ إيقاعاتٍ متعدِّدةً للوزنِ الواحدِ ، إلَّا أنَّ الوزن يظلُّ هو النِّظامُ الثَّابتُ الَّذِي يصنعُ قانوناً يعمُّ هذا الشِّعرَ .[1]".

وبالنَّظرِ في شعر مهيار الدائر في فلك التشيع التشيُّع نجدُ أنَّه كانَ محافظاً على الأوزانِ الخليليَّةِ، كما كانَ محافظاً على كلِّ الأُصولِ الشِّعريَّةِ القديمةِ ، ومع هذه المحافظةِ نجدُه يوائمُ بين هذه الأوزانِ وشعره في التشيُّع من خلالِ التَّغييراتِ الَّتي قامَ بها في تفاعيل هذه الأوزانِ ؛ لتتناسبَ مع المضمونِ الشِّعريِّ للتشيُّع ..

ويمكنُ الوقوفُ على هذا الدَّورِ العروضِيّ في إظهارِ الصِّراعِ المذهبيّ من خلالِ ما جاءَ في يائيَّتِهِ الموصولة والَّتِي يقولُ فيها[2] (من الكامل) :

لقد ابتنَى شرفاً لهُم لو رامهُ زحلٌ ببباعٍ كانَ عنهُ عاليا

وأفادَهُمْ رِقَّ الأنامِ بوقفةٍ في الرَّوعِ باتَ بها عليهم عاليا

ما استدركَ الإنكارَ منهُم ساخطَ إلّا وكانَ بهما هنالك راضيا

أضحَوا أصادَقَهُ فلمَّا سَادَهُمْ حسدُوا فأمسَوا نادِمينَ أعاديا

فارحمْ عدوَّكَ ما أفادَكَ ظاهراً نُصحاً وعالجَ فيك خلّا خافيا

---

(١) بنية اللغة الشعرية في ديوان ترجمان الأشواق : (٧٦) ...

(٢) الديوان : (٤ / ٢٠٠) ..

وهـبِ الغـديرَ أبَـوا عليـه قبولـهُ نهيـاً ؟ فقُـلْ عُـدَّوا سـواهُ مسـاعيا

بـدراً وأحـداً أختهـا مـن بعـدها وحُنـــينَ وقَـــاراً بهـــنَّ فصـــاليا

وتـدبَّروا خبـرَ اليهـود بخيبـرٍ وارضُـوا مرحـبَ وهْـو خصـمٌ قاضـيا

هل كانَ ذاكَ الحصنُ يرهبُ هادماً أو كـــانَ ذاكَ البـــابُ يفـــرَقُ داحيـــا

وتفكّـرُوا فـي أمـرِ عمـروٍ أوَّلا وتفكّـرُوا فـــي أمـــرِ عمـــروٍ ثانيـــا

أسـدانِ كانـا مـن فـرائسِ سـيفهِ ولقلّمـــا هابـــا ســـواهُ مـــدانيا

ضُـغنوا بنـابٍ واحـدٍ ولطالمـا از دردوا ، أراقـــمَ قبلهـــا وأفاعيـــا

ولخطـبُ صِـفَينٍ أجـلُّ وعنـدك ال الخبـــرُ اليقـــين إذا ســـألْتَ معاويـــا

خلـــعَ الأمانـــةَ فارتـــدَى بمعـــرَّةٍ وســـمَتْ جبـــاهَ التَّـــابعينَ مخازيـــا

وأحـــقَّ بـــالتَّمييزِ عنـــد محمَّـــدٍ مـــن كـــانَ ســـامَى منكبيـــهِ راقيـــا

وأبـــرُّهُمْ مـــن كـــانَ عنـــهُ مُوَقّيـــاً حوبـــاءَهُ فـــوق الفـــراشِ وفاديـــا

قسـماً لقـدْ عظَـمَ المصـابُ لأنّـهُ أضـــحَى الإمـــامُ عـــن الأئمـــةِ ثاويـــا

القصيدة جاءَتْ في قالب بحر الكاملِ ، وهو من البحور كثيرة الدَّورانِ في الشِّعرِ العربيِّ ، وقد جاءَ هذا البحرُ في شعرِ مهيار كثيراً وبخاصَّةٍ في شعر التشيُّع الصِّراعيّ ، وهذا البحر لـه مقياسٌ واحد كما جاءَ في كتاب موسيْقَى الشِّعر للدكتور إبراهيم أنيس ، وهو متفاعلن ، ولا يأتي هذا المقياسُ إلَّا في هذا البحرِ ، ويشتملُ شطرُ البيتِ من هذا البحرِ على ثلاثة مقاييس من متفاعلن ، ولكن كثيراً ما يحلُّ مستفعلن محلَّ متفاعلن ؛ ولذلك يحقُّ أن يُعدَّ المقياسُ

مستفعلن مقياساً لبحر الكامل ، إذ نسبةُ شيوع مستفعلن في بحر الكامل لا تقلُّ عن نسبة شيوع متفاعل إنْ لم تزد عنها ...وعلى هذا فمقياس بحر الكامل في حشو البيتِ ، يجوز فيه أن يكونَ مستفعلن كما هو الحال في العروضِ والضَّرب ...وهذا البحر نوعان : تام المقاطع ، وناقص المقاطع ، والنوع الأوَّلُ هو الأكثر دوراناً في الشِّعرِ العربيِّ ..

اختار مهيار هذا البحر بمقاييسه ومقاطعهِ السَّابقةِ ؛ ليكونَ موحياً ومعبِّراً عن تجربةٍ من تجارب التشيُّع ذات البعد ألصراعيّ ، وقد جاء مهيار بهذا البحر في صورتِهِ التَّامةِ ، وقد التزمَ مهيار في أكثرِ مقاييسِ هذا البحر الإضمار وهو من أكثر الزَّحافات مجيئاً في بحر الكامل ، وقد جاءَ مهيار بهذا الزِّحافِ في العروضِ ويظهر ذلك في قوله : " لو رامهُ ، الأنام بوقفةٍ ، منهم ساخط ، فلمَّا سادَهُمْ ، وجاءَ بهِ كذلك في الضَّربِ ويظهر ذلك في قوله : " عنهُ عاليا ، خلَّا خافيا ، خصمٌ قاضيا ، والتزمَ بهِ في أكثرِ الحشو ، وقد جاء ذلك في قوله : " بباعٍ كانَ عنهُ ، الإنكارَ منهُمْ ، إلَّا وكانَ ، .. وقد ساعَدَتْ هذه التغييرات مهيار في الإعرابِ عمَّا في نفسهِ من مشاعر حماسيَّةٍ في شعر التشيُّع الصِّراعِيّ .. وعندما نقرأُ القصيدةَ السَّابقةَ ؛ لنقفَ على ما فيها من تماثلٍ وتضارعٍ بين التشيُّع وما فيه من صراع والإيقاعِ الخارجيّ وبخاصَّةٍ الوزنُ ، نجدُ أنَّ هذا التَّضارعَ بين الوزنِ وما فيهِ من تغييراتٍ وبين التشيُّع الذي يحمل مضمونا صراعيًّا الَّذِي جاءَ في مدحِ ورثاءِ آل البيتِ كانَ حقيقيَّاً ورائعاً ، فقد كانَ مهيار على درجةٍ كبيرةٍ من درجاتِ الشَّاعريَّةِ ، فليسَ بغريبٍ أنْ يكونَ على هذا القدر من الإتقانِ ... وقد تجلَّى ذلك في حسنْ المواءَمةِ بين حركة الحرفِ الثَّاني في متفاعلن وبين الأساسِ الفكريِّ والوجدانيّ في القصيدةِ ، فقد

وجدناهُ كثيراً حريصاً على تسكينِ الحرف الثاني من متفاعلن ، وهو في هذا التَّسكين يوائِمُ بين المعنى الصِّراعيِّ في شعر التشيُّع وبين الإيقاعِ الشِّعريِّ ، وفي هذا ردٌّ على من يقولونَ إنَّ الوزنَ لا علاقةَ لهُ بالمعنَى ، فقد كانَ مهيار متفوِّقاً وبارعاً في اختيارِ الحرفِ الثَّاني الَّذِي يقابلُ ساكنَ متفاعلن في بحر الكامل ، وقد ظهرَتْ عبقريَّةُ مهيار في اختيار هذا الحرف ، فقد كان حريصاً على أن يكونَ هذا الحرفُ من الحروفِ الصَّحيحةِ ، وهذا ما يتوافقُ مع مضمونِ التشيُّع الصِّراعيِّ في القصيدةِ ، فالصِّراعُ يعنِي القُوَّةَ والسُّرعةَ والحسمَ ، ولو جاءَ مهيار بهذا الحرفِ من الحروفِ اللَّينةِ لضاعَتْ كلُّ هذه المعاني ؛ لأنَّ هذه الحروفَ تحتاجُ إلى فترَةٍ زمنيَّةٍ في أثناءِ النُّطقِ بها ، ويظهرُ ذلك في قوله : " في الرَّوعِ ، ما استدركَ الإنكارَ ، أضحوا أَصادقَهُ ، حسدُوا ، فرحم عدوَّكَ ، وحنينَ وقَّاراً " ، وهذا ما يتوافقُ مع فكرةِ الصِّراعِ النَّفسيِّ والوجدانيّ لدى الشَّاعر ، وإذا كانَ مهيار بالتغييراتِ السَّابقةِ في بحرِ الكامل ، قد جعلَ هذا البحرَ موائماً لتجربتهِ ، فهذا لا يعنِي أن مجيءَ مهيار ببعضِ مقاييس بحر الكاملِ بدونِ تغييرٍ قد أخلَّ بفكرةِ المشاكلةِ بين مضمون التشيُّع والإيقاع ، فقد رأينا التَّوافقَ بين التشيُّع بمضمونه والإيقاعِ في جميعِ الأحوالِ، رأينا ذلك في حالة تسكين الحرفِ الثَّاني وكذلك في حالة بقائهِ متحرِّكاً ...وكما استطاعَ مهيار أن يوظِّفَ الحرف الثَّاني في تحقيقِ التَّناغمِ بين التشيُّع والإيقاعِ ، استطاعَ كذلك أن يحقِّقَ هذا الهدفَ أيضاً من خلالِ الرَّابعِ السَّاكن والسَّابعِ السَّاكنِ ، فقَد كشف هذان الحرفان عن القيمِ البطوليَّة والقيمِ الخلقيَّةِ للإمامِ عليٍّ ، ويظهر ذلك في قوله : " وأفادَهُمْ رقَّ الأنام ، باتَ

بهِا عليهم واليا ، وكان بها هنالك راضيا ...وهكذا كان مهيار موفِّقاً في اختيار هذا البحرِ للكشفِ عن تجربتِهِ الشِّعريَّةِ ...

ولم يكن بحر الكامل هو البحر الوحيد الَّذِي جاءَ فيهِ شعر التشيُّع المذهبيّ ، فقد جاءَ شعر التشيُّع في كثير من البحورِ الشِّعريَّةِ الأخرَى ، ومن هذه البحورِ بحر الطَّويل ، والرجز ، والبسيط ، والخفيف ، والمتقارب ، وهذه البحور منها ما يتكوَّنُ من تفعيلتين مختلفتين ، ومنها ما يتكوَّنُ من تفعيلةٍ واحدةٍ ، وقد استطاعَتْ هذه البحورِ أن تُعلنَ عن تجربةٍ مهيار في التشيُّع ...

ومن البحور الشِّعريَّةِ الَّتِي استعان بها مهيار في كشفِ التشيُّع المذهبيّ بحر الخفيف ، وممَّا جاءَ من هذا البحرِ في القصيدةِ اللّاميَّةِ قوله[1] (من الخفيف) :

حملوهـــا يـــوم السَّـــقيفة أوزا راً ، تخـفَّ الجبـالُ وهْـي ثِقـال
ثُـمَّ جـاءوا مـن بعـدِها يسـتقيلُو نَ ، وهيهـات عثـرةٌ لا تُقـالُ

يـا لهـا سـوءةً إذا أحمـدُ قـا م غـداً بيـنهُمْ فقـالَ وقـالُوا

ربـعُ همِّـي علـيهِمْ طلـلُ بـا قِ ، وتبلَـى الهمـومُ والأطـلالُ

يـا لقـومٍ إذْ يقتلـون عليَّـاً وهْـو للمَحـلِ فـيهمُ قتَّـالُ

ويُسـرُّون بغضَـهُ وهْـو لا تُـق بـلُ إلّا بحبِّـهِ الأعمـالُ

وتُحـالُ الأخمـارُ واللّهُ يـدرِي كيـفَ كانَـتْ يـوم الغـدير تُحـالُ

---

(١) الديوان : (٣ / ١٦) .

ولســـــبطينِ تابعَيـــــهِ فمســـــمو مٌ عليـــه ثـــرَى البقيـــعِ يُهـــالُ

درسُـوا قبـرَهُ ليخفَـى عـن الـزّو وارِ هيهـات كيـفَ يخفَـى الهـلال

وشـــهيدٍ بـــالطَفِّ أبكَـــى السَّـــموا تِ ، وكـــادتْ لـــهُ تـــزولُ الجبـــالُ

يـــا غليلـــي لـــه وقـــد حُـــرِّمَ المـــا ءُ ، عليـه وهْـو الشَّـرابُ الحـلالُ

والأبيـات تقـدِّمُ صـراعاً فكريَّـاً وحربيَّـا ، وقـد اسـتطاعَ الشَّـاعرُ أن يكشـفَ عـن هذا الصِّـراعِ مـن خـلالِ ألفـاظ اللُّغـة ، وتظهـرُ فـي قولـه : " حملوها ، السَّقيفة، ثِقالُ ، يقتلون عليًا ، للمحْلِ قتَّال ، ثرَى البقيع يُهال " ، من خلالِ الأصواتِ القويَّةِ المتشابهةِ في الجَرسِ والنَّغمِ ، فنجدُ حرف القاف يتـردَّدُ بكثـرةٍ فـي كلمـاتِ القصـيدةِ ، وهـو يتناسـبُ مـع الصِّـراعِ الكـائنِ فـي القصيدةِ ، كما نجدُ أنَّ التَّصويرَ قد قامَ بدورِه على الوجهِ الأكملِ ...وكذلك استطاع مهيار من خلالِ بحر الخفيفِ أن يكشفَ عن حركيَّةِ الصِّراعِ في هذه القصيدةِ ، ولـذلك رأينـاه مـن خـلالِ مقـاييس بحـر الخفيـفِ الثَّابتـةِ أو المتغيِّـرةِ مـن خـلالِ الزِّحافـاتِ والعلـلِ أن يُقـدِّمَ صـورةً تجسـيديَّةً للصِّـراعِ الفكريّ ، ففي البيت الأوَّل : نجدُ أنَّ مهيار كانَ حريصاً على حذفِ الثَّانِي السَّاكن من فاعلاتن ومستفعلن في الشَّطرينِ ، وكانَ في هذا الحذفِ ما يجعلُ الخفيف متناسقاً مع المعنَى الصِّراعيِّ في هذا البيت ، فمهيار يريدُ أن يقُول إنَّ المبايعةَ من أجلِ الخلافةِ في يومِ السَّقيفةِ تمَّتْ على عجلٍ ، وأنَّ هذا الأمرَ كانَ مقصوداً ، فهم يعلمون كما يرى مهيار أنَّ هناكَ من له حقٌّ فيها ،وقدْ استطاعَ هذا البحرُ من خلالِ هذه التغييراتِ أن يكشفَ عن هذا المعنَى ، ونرَى ذلك في قوله : " حملوها يوم السَّقيفة أوزاراً " ، وعندما أرادَ أن يُهوِّلَ من شأنِ ما حدثَ ، نجدهُ في الشَّطرِ الثَّاني يلتزمُ بحذف الثَّاني

السَّاكنِ ، ويأتِي بالألفِ وهي من حروفِ المدِّ واللِّينِ وذلك في قولهِ : " الجبال ، وثقال " ، ولا شكَّ أنَّ ما قامَ بهِ ساعدَهُ في تحقيقِ مراده وهدفهِ ... وعندما أراد مهيارُ أن يُصوِّرَ ندمَ هؤلاء ، نجدُ ه يحرصُ على نفسِ التَّغيِّراتِ وبخاصَّةٍ في الشَّطرِ الأوَّل وذلكَ في قوله : " ثُمَّ جاءوا من بعدها يستقيلون " ، وعندما أراد أن يقولَ أنَّ ما حدثَ في السَّقيفةِ لا يُمكنُ تجاوزهُ نراهُ يأتِي بمقاييس بحر الخفيفِ بدون تغيِّير ، ويظهر ذلك في قوله : " وهيهات عثرةٌ لاتُقالُ " ، ولو سرنا مع بحر الخفيفِ في هذه القصيدةِ لوجدناهُ قد قامَ بدورهِ أتمَّ القيامِ ، وكشفَ عن هذه التَّجربةِ الصِّراعيَّةِ أتَمَّ الكشفِ ، وبذلك كانَ الوزنُ كاشفاً عن الصِّراعِ ومعلناً عنهُ ....

ب ـ القافية :

وهي شكلٌ من أشكالِ الإيقاعِ في القصيدة العربيَّةِ ، و هي من الأشكالِ اللَّازمة في الشِّعرِ ، فلا يستحقُّ الشِّعرُ اسمَ الشِّعرِ إلَّا إذا كانَتْ القافيةُ ملتزمةً فيهِ وبخاصَّةٍ في الشَّكلِ العموديِّ الموروثِ .. لكن لماذا كانَتْ القافيةُ بهذا المكانِ في الشِّعر العربيِّ ؛ " لأنَّها بمثابةِ الفواصل الشِّعريَّةِ الَّتِي يتوقَّعُ السَّمعُ تردّدُها، بل إنَّ السَّامعَ يستمتعُ بهذا التَّردُّدِ الَّذِي يطرقُ الآذانَ في فتراتٍ زمنيَّةٍ منتظمةٍ ، وبعد عددٍ معيَّنٍ من مقاطعَ ذات نظامٍ ..[1]." .

(١) موسيقى الشعر : إبراهيم أنيس ، (ط : الثانية) ، مكتبة الأنجلو المصريَّة ، (١٩٥٢ م) ، (٢٤٤) .

وكانَ مهيار من الشُّعراءِ الَّذِين حافظوا في شعرِهِمْ على هذا الجانبِ الإيقاعيِّ ، لما له من أهميَّةٍ في إحداثِ النَّغمِ المطلوبِ للإيحاءِ بالتَّجربةِ وشدِّ الانتباه إليها ، ويتجلَّى هذا الاهتمام في شعرهِ المذهبيّ ...

ومن شعر مهيار الَّذِي كانَ محافظاً فيهِ على وحدةِ القافيةِ ما جاءَ في قولهِ [1](من المتقارب) :

فـرامَ ابـنُ عمِّـكَ فيمـا سـنَنْ ... تَ أنْ يتقبَّـــلَ أو يمـــــثُلا

فخانَـــكَ فيـــهِ مـــن الغادريـــ ... نَ ، مـــن غيَّـــرَ الحـــقَّ أو بـــدَّلا

إلـــى أنْ تحلّـــتْ بهـــا تيمهـــا ... وأضـــحَتْ بنـــو هاشـــمٍ عُطَّـــلا

ولمَّـــا ســـرَى أمـــرُ تـــيمٍ أطـــا ... لَ ، بيـــتُ عـــديٍّ لهـــا الأحـــبُلا

ومـــــدَّتْ أميَّـــــةُ أعناقَهـــــا ... وقـــد هُـــوِّنَ الخطـــبُ واستســـهِلا

فنـــالَ ابـــنُ عفّـــان مـــا لـــمْ يكـــن ... يُظـــنُّ ، ومـــا نـــالَ بـــل نُـــوِّلا

وفي القصيدةِ نرَى حرفَ اللَّام رويًّا ، وهذا الحرفِ من الحروفِ الَّتِي شاعَ مجيئها رويًّا في الشِّعرِ العربيِّ ، وقد استطاعَتْ القافيةُ مع حرفِ الرَّويِّ أن تحدثَ الإيحاءَ المطلوبَ بالتَّجربةِ ، وكذلك كان للبحر الشِّعريِّ دورهُ في هذا السِّياقِ ...والَّذِي مكَّنَ القافيةَ من القيامِ بتحقيقِ ما يرجَى منها ما تكوَّنَتْ منه من حروفٍ ، فنجدُ من حروفِ القافية الطاء ، والباء المشدَّدة ، والواو المشدَّدة ، بالإضافةِ إلى الرَّويِّ وهو اللَّام ، ونلاحظُ أنَّ هذه

---

(١) الديوان : (٣ / ٥١) ...

الحروفَ من الحروفِ الشَّديدةِ القويَّةِ بل و المجهورة، وهذا ما يجعلُ القافية متناسبةً ومتناسقةً ومتَّسقةً مع المضمونِ الشِّعريِّ القويِّ في هذه القصيدةِ ... وقد أدَّى هذا التَّناسقُ إلى إحداثِ النَّغمِ الصَّوتِي الَّذِي أحدثَ التَّجاوبَ بينَ القصيدةِ والمتلقِّي ، كما أنَّهُ أدَّى إلى الكشفِ عن مضمون الصِّراعِ في القصيدةِ ....

٢ ـ الإيقاع الداخليّ :

يقصدُ بالإيقاعِ الدَّاخليّ الموسيقَى النَّاتجة عن اختيار الكلماتِ وما بينها من تلاؤم في الحروفِ والحركات .. وقد أشار الدكتور رجاء عيد إلى أهميَّةِ الموسيقَى الدَّاخليَّةِ ، وهي تعنِي عنده قدرةَ الفنان على إقامةِ بناءٍ موسيقيّ يتكون من إيحاءات نفسيَّةٍ تعلو وتهبط أو تقسُو أو ترِّقُ، وتنفصلُ وتتحدُ لتكون في مجموعها لحناً متَّسقاً أقرب إلى الإطار السِّمفونيِّ .[١].

وقد استطاعَ مهيار في شعر التشيُّع أن يحقِّقَ هذا النَّوعَ من الإيقاعِ من خلالِ إحداثِ التَّناغمِ بين الحروفِ والكلماتِ والجملِ ، ومن خلالِ التَّكرارِ لبعضِ الكلمات والجملِ ... ومن شعر مهيار الَّذِي يكشفُ عن هذه الظَّاهرةِ قوله[٢] (من الرجز) :

يالِلرِّجـــــالِ ولتَـــــيمٍ تـــــدَّعِي ثـــأرَ بنـــي أميَّـــةَ وتنتحـــلْ

وللقتِيـــــلِ يُلزمـــــونَ دمـــــهُ وفـيهِمْ القاتـلُ غيـرَ مـن قتَـلْ

---

(١) التجديد في موسيقى الشعر العربيّ: رجاء عيد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، (١٩٩٨م) ، (١٠) .

(٢) الديوان : (٣ / ١١٤) ...

حتّـــى إذا دَارَتْ رحَـــى بغـــيهمُ علـيهم وسـبقَ السَّـيفُ العـذْلْ

وأنجـــزَ النّكـــثُ العـــذابَ فـــيهمُ بعـد اعتـزالٍ مـنهُمُ بمـا مُطِـلْ

والإيقـاعُ الـدَّاخليُّ فـي الأبيـاتِ والقصـيدةِ واضـحٌ ، وقـد أدَّى إلـى تحقيقِ هذا الإيقاعِ ما في الأبياتِ من توافقٍ بين الألفاظِ والمعاني ، وكذلكَ مـا فيهـا مـن تكـرار لـبعضِ الحـروفِ المتشـابهةِ والكلمـات ، فقـد رأينـاه فـي الأبياتِ وفي القصيدةِ يكثرُ من حروفِ القافِ والجيم والدَّالِ ، وهي حروفٌ قويَّةٌ تتفقُ مع المعنَى والسِّياقِ ، كما أنَّها تحدثُ إيقاعاً واضحاً يتعاون مع الإيقـاعِ الخـارجيِّ فـي تحقيـقِ التَّجـاوبِ المطلـوب ، وكـذلك تمكَّـنَ مهيـار مـن تحقيقِ هذا الإيقاعِ من خلالِ الجناسِ ، فقد كـانَ مهيـار حريصـاً علـى تكـرارِ الجنـاس فـي القصيدة بل وفـي شعر التشيُّع الذي يحمـل مضمونـا صراعيًّا ، ومن هذا الجنـاس قولـه : " للقتيل ، القاتل ، من قتل " ، وكلُّ هذا سـاعد على تحقيقِ الإيقاعِ وإظهار التَّجربةِ الصِّراعيَّةِ ..

الـخـاتـمـــة

الحمـد للَّهِ ربِّ العـالمين ، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ علـى سـيِّدِ الأنبيـاء والمرسلين ، وعلى آلهِ وأصحابهِ الطَّاهرين ...وبعد ..

فإنَّ التشيُّع في شعرِ مهيار(ت : ٤٢٨ هـ) كانَ من الظَّواهرِ الأدبيَّـةِ والفنيَّـةِ الَّتـي شكلَّتْ جزءاً مهمّـاً فـي التَّكـوينِ النَّفسـيِّ والوجداني لمهيـار،

ومن هنا كانَ هذا الاهتمامُ الكبيرُ من الشَّاعر مهيار بقضيَّةِ التشيُّع ...ولقد كانَ مهيار في شعرهِ من أكثرِ الشُّعراءِ انشغالاً بقضيَّةِ الإمامةِ ، وكانَ يرَى ما يراهُ الشِّيعةُ الإماميَّةُ في مسألةِ الإمامةِ ، كانَ يرَى أنَّ الشِّيعةَ وآلَ البيتِ هم الأحقُّ بالإمامةِ ؛ للنَّصِّ على ذلكَ من قبل الرَّسُول ــ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ــ .. وقد جعلهُ ذلكَ في شعرهِ حريصاً على إظهارِ هذا الحقِّ بكلِّ الوسائل ، وكأنَّ الأُمَّةَ ليسَ لها ما يُشغلُها من القضايا إلَّا قضيَّة الإمامة ...وقد تكشَّفَ لنا من خلالِ دراسة التشيُّع في شعر مهيار أنَّه :

١ ـ أكثرَ في شعرهِ من الحديثِ عن مناقب آل البيت في عصرهِ وقبل عصرهِ ، رأينا ذلك في حديثهِ عن مناقب الإمامِ عليٍّ ، والحسينِ ، والحسنِ ، وكذلك في حديثهِ عن مناقب الشَّريفين الرَّضِيِّ والمُرتضَى ، كما تجلَّى ذَلكَ في الحديثِ عن مناقب كثيرٍ من أعلامِ الشِّيعةِ في عصرهِ ...

٢ ـ أرادَ من خلالِ حديثهِ عن المناقب إثباتَ الحقِّ الشِّيعيِّ في الإمامةِ ، وهو حقٌّ يراهُ مهيار تاريخيّاً ودينيّاً ....

٣ ـ أكثرَ في شعر التشيُّع من ذكر مثالبِ المعارضين ، وقد تعرَّضَ في هذا الذِّكرِ إلى النَّيلِ من كبارِ الصَّحابةِ وبخاصَّةٍ الخلفاءُ الرَّاشدونَ ، وهذا أمرُ لم نقبلْهُ مطلقاً ، وقد ذكرنا عند حديثنا عن هذه المثالب في شعر التشيُّع أنَّ هؤلاءِ الصَّحابةَ الَّذين نالَ مهيار منهُم ، هم الَّذين اختارهُمْ اللَّهُ لصحبةِ نبيِّهِ ، وهُمْ أيضاً الَّذين رَضِيَ اللَّهُ عنهُمْ ورضُوا عنهُ ....

٤ ــ أكثرَ في شعرهِ من الحديثِ عن البُطولاتِ التَّاريخيَّةِ لآل البيتِ وبخاصَّةٍ للإمامِ عليٍّ ، وكانَ يُريدُ من خلالِ الحديثِ عن هذه البطولاتِ أنْ يُؤكِّدَ على حقِّ الإمامِ عليٍّ في الميراثِ النَّبويِّ ....

٥ ــ تحدَّثَ في شعرهِ عن الدَّافعِ الَّذِي جعلهُ يدافعُ عن حقِّ آل البيتِ في الإمامة ، فقد ذكرَ في شعرهِ أنَّه أسلمَ على يد الشَّريف الرَّضِيّ ، وكانَ هذا من أسبابِ حبِّهِ ودفاعهِ ....

٦ ــ قد أجادَ في اختيار اللُّغةِ الَّتِي استطاعَ بها أنْ يُصوِّرَ التشيِّع بمضمونه الصِّراعيّ تصويراً قويَّاً ، وقد كشفَ هذا التَّصويرُ اللُّغويُّ عن براعةٍ فنيَّةٍ وقدرةٍ أدبيَّةٍ عاليةٍ ....

٧ ــ استطاعَ من خلالِ اللُّغةِ أن يُقدِّمَ تفصيلاً لتاريخِ التشيُّعِ منذ ظهورهِ إلى عصرهِ ، وقد ذكر مهيار في التَّفصيلِ كلَّ ما يتعلَّقُ بشخصيَّاتِ الصِّراعِ وأماكنِ الصِّراعِ وأزمانِ الصِّراعِ وأيَّامِ الصِّراعِ ، فقد جعل مهيارُ شعرَهُ في الصِّراعِ يشبهُ إلى حدٍ كبيرٍ ملحمةً تاريخيَّةً في وصفِ بطولاتٍ آل البيتِ ...

٨ ــ استطاع من خلالِ التَّصويرِ الجزئي والكليِّ أن يكشفَ عن المشاعر المتنوِّعةِ في نفسهِ ، فقد كانَ شعرُهُ في آل البيتِ يحملُ قدراً كبيراً من الحزنِ ، وهذا ما جعلَ مهيار في صورهِ الجزئيَّةِ يكثرُ من المجازِ وبخاصَّةٍ الاستعارةُ ...

٩ ــ كانَ متمكِّناً جداً من استخدامِ الإيقاعِ ، وقد ساعدهُ هذا الإيقاعُ على تجسيدِ إيقاعاتِ التشيُّع بمضمونه الصراعيّ ،وهذا ما جعلهُ يحرصُ على بعضِ الأوزانِ والقوافي الَّتي رآها قادرةً على هذا التَّجسيد ، ومن

الأوزانِ الَّتِي كانَ مهيار حريصاً على إيرادها في شعر التشيُّع بحر الطَّويل والكامل والرجز البسيط والمتقارب والخفيف ..

فهذا ما كانَ عن التشيُّع في شعر مهيار ، فأرجو من اللَّهِ عزَّ وجلَّ أن أكونَ قد وُفقْتُ في كشفهِ وعرضهِ ...

واللَّهُ ولي التَّوفيق

أهم المصادر والمراجع

١ ـ أثر التَّشيُّع في الأدب العربيّ : محمَّد سيّد كيلاني ، مكتبة مصر .

٢ ــ إسلام بلا مذاهب : د / مصطفى الشَّكعة ، (ط : الأولى) ، الدار المصريَّة اللبنانيَّة ، (١٩٩٦ م) ..

٣ ـ الإصابة في معرفة الصَّحابة : ابن حجر العسقلانيّ (ت : ٨٥٢هـ) ، (ط : الأولى) ، دار الكتب العلميَّة ، (١٤١٠هـ) .

٤ ــ البداية والنِّهاية : لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، (ط : الأولى) ، دار صادر بيروت ، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م) ..

٥ـ بنية اللغة الشِّعريَّة في ديوان ترجمان الأشواق : أنوار مصطفَى ، (طبع قصور الثَّقافة) .

٦ ــ تاريخ الإسلام : للذهبيّ (ط : الأولى) ، دار الكتاب العربيّ ، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٩ م) .

٧ ـ توضيح المشتبه في ضبطِ أسماء الرُّواة وأنسابهم وألقابهم : ابن ناصر الدين (ت : ٨٤٢ هـ) ، (ط : الأولى) ، مؤسسة الرسالة ، (١٩٩٣ م) .

٨ ــ ديوان دعبل الخزاعي : حسن حمد ، (ط : الأولى) ، دار الكتاب العربيّ ، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م) ،

٩ ــ ديوان الكميت الأسديّ : محمد نبيل طريفي ، (ط : الأولى) ، دار صادر ، (٢٠٠٠م) .

١٠ ــ ديوان مروان بن أبي حفصة : تحقيق حسين عطوان ، (ط : الثالثة) ، دار المعارف ..

١١ ــ ديوان مهيار : تحقيق أحمد نسيم ، (ط : الأولى) ، دار الكتب المصرية ، (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦ م) ..

١٢ ــ الصورة الفنيَّة في شعر أبي تمام : عبد القادر الرباعي ، (ط : ثانية)، المؤسسة العربية للتراث والنشر ، (١٩٩٩م) .

١٣ ـ الطبقات الكبرى : ابن سعد (ت : ٢٣٠هـ) ، (ط : الأولى) ، دار الكتب العلمية ، (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م) ..

١٤ ـ عصر الدِّول والإمارات : دكتور شوقي ضيف ، (ط : ثانية) دار المعارف .

١٥ ـ الفن ومذاهبه في الأدب العربي : دكتور شوقي ضيف ، (ط : ١٢)، (ط : دار المعارف) .

١٦ ـ معجم المؤلفين:عمر رضا كحالة، مؤسسة الرِّسالة، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م) .

١٧ ـ من المبدع إلى النَّصِّ : د / نسيمة الغيث ، (ط : دار صادر) .

١٨ ـ مهيار الدَّيلمي : محمد على موسى ، (ط : الأولى) ، (١٩٦١ م).

١٩ ـ الوافي بالوفيات : الصَّفدي (ت : ٧٦٤ هـ) ، دار صادر ، (١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠ م) .

٢٠ ـ وفيات الأعيان : ابن خَلِّكان (ت : ٨١٠هـ) ، تحقيق : إحسان عباس ، (ط : دار صادر) .